روايات مصرية للجيب

17

المكتب 17

ادارة المهام الخاصة



العملية رقم (17)

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

مقـــدمـة

قليلون هم الذين يعيشون تلك الحياة المفعمة بالحركة والإثارة ، المحفوفة بالمخاطر والأشواك ، من شرك إلى مصيدة ، ومن موت إلى موت ..

قليلون هم الذين يهوون الحياة فى قلب الجحيم ، حيث الهلاك هو اسم اللعبة ، وحيث الدهاء هو الطريقة الوحيدة لكى تلعبها ، فإما النصر ، وإما القتال حتى النفس الأخير ..

قليلون هم الذين حملوا قلوبهم الفتية على أكفهم ، وألقوا بأنفسهم فى دوائر النهاية دون لحظة تردد واحدة ..

قليلون هم ، ربما تبلغ ندرتهم حد أن يمضى بنا قطار العمر دون أن نشهد أحدهم ولو بالصدفة ، لكنهم دومًا موجودون من حولنا ، يبنون مجد أوطاننا بدمائهم وأرواحهم ، ويحرسون أيامنا وأحلامنا من أنياب وحوش الغاب الضارية ، ومن هؤلاء الذين لا هَمّ لهم إلا أن يطلوا جدران غدنا بالسواد القاتم ..

و (عمر زهران) هو أحد هؤلاء القليلين ..

إنه بطل آخر ممن تزخر بإنجازاتهم ملفات الوطن ، وهو من سيرافقنا عبر روايات هذه السلسلة الجديدة بإذن الله ..

من هو ؟ كم عمره ؟ أين ومتى وكيف ولماذا .. إلخ ؟ كلها أسئلة ستجيب عن نفسها بنفسها خلال الصفحات القادمة ، كل ما يهمنا معرفته هنا أنه إنسان ، مثلى ومثلك ومثلنا جميعًا ، له من العيوب قدر ما له من المزايا ، لكنه فى النهاية يحمل قلبًا عاشقًا للوطن ، والأرض ، والناس ..

يهمنا كذلك أن نشير هنا إلى تلك الهيئة الأمنية الحديثة التى نشأت على أرض (مصر) بقرار رئاسى ، وهى هيئة ذات سلطات غير محدودة ، مهمتها التعامل مع القضايا ذات الطابع الخاص ، المحاطة بأعلى قدر من السرية ، والتى تتطلب كفاءات رفيعة المستوى للتعامل معها ..

هيئة تعرف باسم (المكتب ١٧) ..

محمد سليمان

١ ـ أبيــض..

(كل المهام تنتهى ، كونى واثقة من هذا .. !) ..

☆ ☆ ☆

تلاعب الهـواء بالستـائر الشفـافـة المنسـدلة فوق النافذة الواسعة ، فى لحظة انفتاح باب الغرفة وولوج شخص ما على استحياء ..

الغرفة ضيقة نوعًا ، تنتشر فى أرجائها روائح الزهور المتناثرة فى الزوايا مع بطاقات التمنى بالشفاء وعبارات المشاركة الوجدانية ..

كل ما فى الغرفة أبيض ، من الجدران إلى القلبين الخافقين ..

الغـرفـة ضـيـقـة ، لكن القلوب فى اتسـاع الكون الحنون ..

سرير فى المنتصف ، ملاءته بيضاء ..

خوان جانبى تقوم عليه مزهرية من الخزف الأبيض تعلوها بتلات الزهور الحمراء كدماء القلوب ، وتتناثر فوقه الأقراص والمحاقن ، فى انتظار المهمة الأبدية ..

على السـريرشـابـة فى عمـر الزهور المحدقـة فى استسلام وتعاطف من أنحـاء الغرفـة ، ترتدى الشابة

ملابس المرضى البيضاء ، وتضم ساقيها إلى صدرها فى جلستها المستكينة على السرير الوحيد ، عيناها الملونتان هائمتان فى البعيد ، والموسيقى حلم تلاشى فى تباشير الفجر الذى يتنفس فى الخارج ، عبر نافذة الغرفـة التى تتلاعب ستائرها الشفافة ، كأنها تراقص النسيم الربيعى الرقيق ..

انفتـح البـاب مع هيـاج الستـائـر ، ودقت الخطوات فوق سيراميك الأرضية الأبيض ..

انغلق البـاب وارتمى ظل شبحى باهت على السرير حيث تجلس الشابة المستكينة فى وداعة قطة حالمة ..

كـان الداخل شـابًا حليق الرأس ، يقف فى خطوات مترددة بين التقدم والتراجع ، عيناه تفيضان بأقصى آيات الألم ، وهو ينظر إلى الشــابة ، ولا ينظر إلى سواها ..

وفى النهـايـة ، بعد أن استطـال الوقت مـاردًا من دقـائق تمضى ، وهى لا تشعر بوجوده إلى جوارها ، اندفع يناديها بما قويت حنجرته على التفوه به ..

يناديها باسما :

ـ (دينا) ..

ولا يقوى على التفوه بالمزيد . .

هنا فقط انتبهت . .

هنا فقط رفعت إليه عينين من صحراء . .

هنا فقط شعر ـ للحظة ـ أنها ستتعرف عليه ، الشعور الذى مات فى اللحظة التالية عندما أشاحت عنه بوجهها . .

وعادت تتوحد مع غربتها عن العالم . .

وعنه . .

وعن نفسها . .

ملاك أبيض فى غياب عن دنيا الأرض القاحلة . .

اقترب منها ، فصافح أنفه رائحة عطرها ؛ ممتزجة مع روائح الأدوية والمطهرات والزهور والنسيم الفائح من الخارج عبر النافذة ، أراد أن يمسك بيدها لكنه أحجم ، كل ما استطاعه هو أن يملأ عينيه وقلبه وروحه . .

ـ سأكون دومًا إلى جوارك . .

لم تنظر ، ولم ترد بكلمة . .

تنهد الشاب ملء صدره ، خفض عينيه إلى الأرض

يتذكر ، وأغلقهما فى ألم حتى لا يتذكر ، ثم استدار تاركًا إياها و أغلق باب الغرفة خلفه . .

فى الممر الخارجى بين أبواب غرفة أخرى ، ظل الشاب محدقًا فى الأرض ، مغالبًا كل ما يعتمل فى أعماقه من لهيب . .

ارتعد وهو يجاهد الدمعة التى فرت من عينه ، مسحها بطرف خنصره وكتم آهة كادت تفيض من بركان قلبه ، ثم رفع عينيه إلى نهاية الممر ، حيث يقف الكهل ذو الملامح الحادة مخاطبًا رجلاً وقورًا فضى الشعر وإطار النظارة ، فى معطف الأطباء الأبيض . .

لم يسمع الشاب شيئًا مما يدور بينهما فى موقعه أمام باب الغرفة الذى انغلق خلفه ، فتقدم نحوهما بضع خطوات ولمحه الكهل ذو الملامح الحادة بطرف عينه ، فيما تناهى إلى أذنيه صوت الطبيب الفضى الشعر وإطار النظارة يقول :

ـ المشكلة أن الأشعة المقطعية والرنين المغناطيسى على المخ والعمود الفقرى لا يخبرانا بأى شىء ، كل النتائج سلبية وهو ما يثير حيرتنا إلى حد العجز . .

العجز ..

يا له من تعبير قاس يخدش السمع والفؤاد ..

ـ .. المشكلة الأكبر أن هذا الدكتور (رومانو) المتسبب فى المشكلة لا يعرف طريقة فعالة لعكس أثر جهازه ، رغم أننا نجاهد حتى نتوصل إلى نتيجة إيجابية ..

عاد الكهل الحاد الملامح يختلس نظرة للشاب الحليق الرأس المقترب منهما ، ثم إنه واجه محدثه بنظرة صارمة إلى حد الانصهار سائلاً :

ـ معنى هذا أنه لا يوجد أمل على المدى القريب يا دكتور ؟!

هز الطبيب رأسه نفيًا وهو يمط شفتيه فى أسف ، وانفطر قلب الشاب المقترب لقوله بنبرة اليأس الطبية الخالدة :

ـ أكره أن أقول هذا ، لكن ..

ولم يكمل العبارة المفهومة ضمنيًا ، فعاجله الكهل حاد الملامح بسؤال مقتضب :

ـ وعلى المدى البعيد ؟!

زفر الطبيب ثم قال دون أن تزول من نبراته رنة اليأس الطبية الخالدة :

ـ دعنا نأمل خيرًا ، وندعو الله من صميم قلوبنا ..

وقف الشاب الحليق الرأس على مسافة قريبة منهما ، وظل يحدجهما بنظرات تحمل أنهارًا من المعانى ، فشد الكهل الحاد الملامح على ذراع الطبيب الفضى قائلاً فى امتنان :

ـ أشكرك يا دكتور ..

هز الطبيب الفضى رأسه بملامح يكللها الأسى ، ومضى بعيدًا ، فيما دنا الكهل من الشاب فى خطوات ثقيلة ..

حتى تواجه الاثنان ..

الأستاذ :

ـ كيف حالها الآن يا (عمر) ؟!

والتلميذ :

ـ لا يسر ، عميد (حرب) .. لا يسر عدوًا ولا حبيبًا ..

كاد (عمر زهران) ينهار وهو يقولها بنبرات آتية من عالم الأحزان الأسود مدنيًا وجهه إلى أسفل ، لكن العميد (منصور حرب) سارع برفع ذقنه إلى أعلى ،

ونظر إلى عينيه مباشرة قائلاً فى لهجة عتاب حازمة :

ـ لسنا نواجه أحزاننا بهذه الطريقة ، نقيب (عمر) . .

جاهد (عمر) للتماسك ، وأشار نحو غرفة (دينا) بيده قائلاً فى مرارة :

ـ إنها لا تستحق هذا ، عميد (حرب) . . إنها لا تعرفنى ، ولا تعرف نفسها حتى . . !

قال العميد (حرب) دون أن يرفع عينيه عن عينى (عمر) :

ـ ربما يبدو كلامى هذا محض شعارات مسطحة ، لكننا بالأمل وحده نعيش يا فتى . .

أشار (عمر) إلى الجهة التى اختفى فيها الطبيب ، وهتف كأن سكينًا يمزق أحشاءه تمزيقًا :

ـ لكن الطبيب قال أنه لا أمل . .

قال العميد (حرب) فى ثقة وإيمان :

ـ سوف نتجاوز كل هذه المحن يا (عمر) ، سوف نتجاوزها إن وضعنا ثقتنا فى اللّه ـ عز وجل ـ وكنا به مؤمنين . .

تنهد (عمر) :

ـ ونعم باللّه . .

ثم جمعهما الممر سائران إلى خارج المصحة ، وفى النهاية جمعتهما السيارة (الهيونداى) الخضراء منطلقة إلى مقر الإدارة . .

إدارة المهام الخاصة . .

المكتب (١٧) . .

كان العميد (حرب) ينعطف بالمقود فى طريق جانبى ، عندما سأله (عمر) ، الغائب بعينيه فى شرود طوال الطريق :

ـ ماذا عن الآخرين ؟!

أجابه العميد (حرب) دون أن ينظر إليه ، وبنبرة منخفضة نوعًا :

ـ حالتهما لا تختلف عن حالتها كثيرًا . .

عاد (عمر) يسأل :

ـ وهل توصلتم إلى قرار بشأن ما ستفعلونه في الرجل الكبير ؟!

نظر العميد (حرب) فى ساعة معصمه قبل أن يجيبه :

ـ هناك اجتماع خاص مع نخبة من خبراء الإدارة

بعد ساعة علي الأكثر ، لنحدد فيه كل ما يتعلق بهذا الذى تسميه رجلاً كبيراً . .

ـ سأل (عمر) للمرة الثالثة :

ـ وهل ما زالت الخطة التى عرضتها علىّ بالأمس قائمة ؟!

هنا نظر نحوه العميد (حرب) نظرة طويلة نسبيًا ، ثم عاد يحدق فى الطريق أمامه قائلاً وهو يميل بعنقه قليلاً قليلاً :

ـ هذا يتوقف على موقفك منها الذى لم . . .

قاطعه (عمر) ووجهه يكتسى بجمود صخرى مباغت :

ـ موافق . .

نظر نحوه العميد (حرب) للمرة الثانية على التوالى ، مقطبًا بشدة هذه المرة ، فأعادها (عمر) على مسامعه وهو ينظر إليه بدوره :

ـ . . سأنفذ المهمة يا سيادة العميد . .

النفير الذى صدر من أمام السيارة هو الذى جعل العميد (حرب) ينظر للأمام مجددًا ، ليكتشف أنه على وشك أن يصدم سيارة آتية من الاتجاه المقابل . .

مال العميد (حرب) بالسيارة مرة واحدة ، وتفادى السيارة المقابلة فى اللحظة الأخيرة ، قبل أن يوقف سيارته على جانب الطريق ، فيرتدان ـ هو و (عمر) ـ إلى الأمام بفعل القصور الذاتى . .

ثم :

ـ هل فكرت فى الأمر جيدًا ، نقيب (عمر) ؟!

قال (عمر) ولهجته تكتسب حزمًا غريبًا :

ـ فكرت واتخذت قرارى يا سيادة العميد . .

قال (حرب) بعد أن زفر فى حرارة :

ـ ربما كنت تحت تأثير عاطفى نتيجة . . .

عاد (عمر) يقاطعه مرة أخرى :

ـ سأحل محله فى عقر داره ، أنا الآن أحوج ما أكون إلى هذه المهمة . .

ران الصمت بينهما ، ولم يجد العميد (حرب) ما يرد به . .

لهجة تلميذه (عمر) كانت حاسمة بالفعل هذه المرة . .

التفت العميد إلى المقود وأدار المحرك ، قبل أن يقول أخيراً :

ـ عمومًا ، لن يتحدد قبول الخطة من عدمه إلا بعد أخذ موافقة الخبراء بأغلبية الأصوات كما تعلم . .

انطلقت السيارة دون أن يرد (عمر) ، فتابع العميد (حرب) ، وهو يغالب حيرته الداخلية التى يجاهد لئلاً تطفو على سطح انفعالاته :

ـ . . كل ما أرجوه أن نتريث قليلاً ، وأن يساعدنا اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ على اتخاذ القرار الصائب . .

لم يسمع (عمر) هذا الجزء من العبارة . .

وكان العميد (حرب) يعلم هذا ، لذا فقد آثر بعدها أن يلوذ بالصمت المبين . .

كان يعلم أن (عمر) ؛ الشارد عبر زجاج نافذته الجانبى فى الطريق ، إنما يرى فى الفراغ صورتها وحدها . .

(دينا واصف) . .

ملاك أبيض فى غياب عن دنيا الأرض القاحلة . .

وكان العميد (حرب) يلوم نفسه على هذا . . كثيراً . . !

رأى (عمر) صورتها بالفعل عبر زجاج نافذته الجانبى المطل على الطريق . .

صورتها وحدها . .

ثم بدأت الصور الأخرى تطفو فوق بحيرة الذكرى . .

كأنه ألقى فيها بحجر فأخذت الدوائر فيها تتسع دائرة فدائرة . .

وعاد (عمر) بذاكرته إلى البداية . .

بداية كل شىء . . !

☆ ☆ ☆

٢ ـ خبر مبهج ..

صمتت قليلاً ، وترقرق الدمع المكبوت فى زجاج عينيها قبل أن تغمغم :

ـ منذ متى لم تحمل لى خبرًا مبهجًا ؟!

صمت قليلاً ، وترقرق الدمع المكبوت فى زجاج عينيه بدوره قبل أن يغمغم :

ـ هل كنت ابنًا عاقًا إلى هذا الحد ؟!

ثم ذاب كل شىء فى دفء العناق بين الشاب الذى استحال طفلاً ، وأمه التى يكاد قلبها ينفجر بالفرح ..

ـ ستتزوج إذن يا قرة العين ..

قالتها الأم . فقال (عمر زهران) من بين ذراعيها الحانيتين :

ـ لابد أن أحصل على مباركاتك أولاً ..

جاهدت أمه لتكبت دموعها ـ دموع الفرح ـ وهى تنظر إلى صورة الأب القديمة فى صدر الصالة ـ العقيد (فهمى زهران) رحمه الله ـ وتساءلت :

ـ ترى من تكون سعيدة الحظ ؟!

ابتسم (عمـر) ، وفوجئ بنفسه ينطق فى خجل صبى مراهق :

ـ زميلة من الإدارة ..

سألته أمه فى استغراب :

ـ زميلة ؟!

ضحك (عمر) من استغرابها قبل أن يقول :

ـ ليست ضابطة مهام خاصة بالطبع ، بل خبيرة تقنيات لا يشق لها غبار ..

سألته :

ـ صارحتها بالأمر ؟!

فأجاب :

ـ مرارًا ..

عادت تسأله :

ـ والجواب ؟!

فعاد يجيب :

لم ترفض ..

سؤال آخر :

ـ هل يعنى هذا أنها قبلت صراحة ؟!

وجواب باسم :

ـ إنها مسألة وقت فحسب ..

انفك العناق ، ونظرت الأم فى وجه طفلها الذى أصبح رجلاً فجأة ، ورغمًا عنها تسرب خيط من الدمع على وجنتها إذا قالت :

ـ ستقبل ، لا يمكن أن ترفضك فتاة يا قرة العين . .

حاول أن يمسح الدمع عن وجنتها بكفه لكنه أحجم فى اللحظة الأخيرة :

ـ يقول المثل الشعبى (القرد فى . . .

قاطعته واضعة راحتها على فمه :

ـ لا تكمل . .

لم يكمل ، وران الصمت طويلاً فى المنزل الذى لم يدخل الفرح بابه منذ سنين . .

ـ وإذن ؟!

تساءل (عمر) فى ارتباك . .

قلبه الحساس لم يحتمل كل هذه المشاعر المطلة من عينى أمه . .

ـ دعنى أسألك أنا نفس السؤال . .

قالتها الأم وهى تمسح الدمع عن وجنتها بكفها ، بعد أن نجحت أخيرًا فى الإمساك بزمام مشاعرها ، فأجابها (عمر) كمن كان ينتظر :

ـ أريد سير الخطوات المعتادة فى هذه الأمور . .

نظرات ، ثم أوضح :

ـ . . أعنى أن نزورهم فى دارهم مثلاً ، أو تتحدثين مع ذويها ، ما أعنيه بوضوح أكثر أن يأخذ الأمر شكلاً شبه رسمى قبل وضعه فى إطاره النهائى المستديم . .

ابتسمت أمه بسمة أجمل من الجنة ، وقالت :

ـ كما تأمر يا بنى . .

عاد (عمر) يتحدث فى خجل المراهقة البعيدة :

ـ وإذن ؟!

غمزته قائلة :

ـ ضع خطتك المناسبة وحدد لى دورى فيها ، وستجدنى من المنفذين . .

قبَلها فى سعادة المراهقة البعيدة :

ـ أنت حقًا أجمل أمهات العالم . .

واختفى من أمامها على الفور ، فيما ظلت هى تحدق فى الصورة التى تتصدر الصالة . .

صورة الأب الراحل . .

طال الوقت وهى تنظر إليها . .

طال كثيرًا . .

ورغمًا عنها انحدر خيط آخر من الدمع على وجنتها . . دون أن تشعر . .

☆ ☆ ☆

ـ خبر مبهج أخيرًا . . !

هتفت بها الفتاة النحيلة المتوسطة الجمال فى صوت كاد يوقظ جميع من فى المنزل . .

ـ أخفضى صوتك أيتها الحمقاء ، ستوقظين جميع من فى المنزل . . !

غمغمت بها الفتاة التى تجلس على السرير المقابل لسريرها ، ذات البشرة الخمرية والشعر الطويل المعقوص والنظارة الطبية التى لا تخفى اتساع عينيها الملونتين . .

ـ أخيرًا سأفرح بك يا (دينا) . .

لكزتها (دينا) فى كتفها مقطبة :

ـ كفى عن هذا يا (ولاء) ، لا أحب المزاح فى موضع الجد . .

اعتدلت (ولاء) ـ ابنة الخال ومكمن الأسرار ـ فى جلستها على سريرها ، وقالت :

ليكن ، لنتحدث بجدية . . مع أنى لم أكن أمزح بالمناسبة . . !

سألتها (دينا) وهى تشرد بعينيها الملونتين فى المجهول لبرهة :

ـ ما رأيك فى الأمر بصراحة إذن ؟!

هزت (ولاء) كتفيها :

ـ رأيى أعلنته بمنتهى الصراحة بالفعل . . إنه خبر مبهج . .

مطت (دينا) شفتيها :

ـ فقط ؟!

نظرت إليها (ولاء) باسمة فى خبث :

ـ رأيى أيضًا أن هذا الشاب الذى تتحدثين عنه قد أجاد الاختيار . .

أشاحت عنها (دينا) فى جفاء :

ـ هذا ليس رأيى بالمرة . .

اتسعت بسمة (ولاء) الخبيثة :

ـ لا أظن أن فى إدارتكم هذه من تفوقك جمالاً . .

أطرقت (دينا) للحظة قبل أن تقول فى شرود :

ـ ولا من تفوقنى تعقيدات على مستوى الحياة الشخصية . .

ربتت (ولاء) على كتفها فى تعاطف صادق :

ـ لسنا مسئولين عن ماضينا الذى لم نختره ، لو كنت تعنين هذه النقطة بالذات . .

تنهدت (دينا) وهى تقول :

ـ لا أعلم . .

سألتها (ولاء) باهتمام :

ـ بماذا أجبته عندما طرح عليك السؤال ؟!

وأجابتها (دينا) باقتضاب :

ـ لا شىء . .

نظرت إليها (ولاء) فى تساؤل مندهش ، ففسرت (دينا) إجابتها المثيرة للدهشة :

ـ . . إنه لم يسألنى بطريقة رسمية حتى الآن ، لقد سألنى السؤال فى صراحة قبل بداية المهمة الماضية ، وعند نهاية المهمة فى (أستراليا) على متن طائرة مروحية كان ينزف من جرح فى ساقه عندما قالها ، لكنه لم يطرح السؤال مرة أخرى ؛ لذا . . .

تحولت نظرات (ولاء) إلى غباء مستطير ، فتوقفت (دينا) عن السرد ، وأشاحت بيدها من جديد :

ـ . . دعك من هذا ، المهم أننى لم أعطه حتى الآن ردًا نهائيًا . . !

عادت (ولاء) تسألها مستعيدة حالة الاهتمام الأولى :

ـ وماذا تنوين أن يكون ردك النهائى عندما يسألك بصراحة ؟!

وعادت (دينا) تتنهد فى حرارة قائلة :

ـ لا أعلم . .

نظرت (ولاء) فى عينيها مباشرة ، وقالت فى لهجة قاطعة :

ـ ستوافقين . .

لم تقو (دينا) على رد نظرات ابنة خالها بالمثل ، لكن سؤالاً واحدًا دار فى خلدها :

ما الذى جعل (ولاء) واثقة إلى هذا الحد ؟!

ـ . . إننى لا أرجم بالغيب ، لكنى أسمع صوت قلبك الذى تصمين عنه أذنك . . وهو لا يرفض على الإطلاق ،

بل إنه يتوسل إليك أن تلينى وتقبلى . .

تظاهرت (دينا) بالاستياء :

ـ ماذا تقولين يا . . . ؟!

لكن (ولاء) قاطعتها على الفور :

ـ امنحى نفسك الفرصة يا عزيزتى . .

تحجرت عينا (دينا) ، وهى تغمغم كالمحدثة نفسها :

ـ لكن . .

عادت (ولاء) تتحدث دون أن تعطيها فرصة الاستكمال ، كأنها تقرأ أفكارها فلا حاجة لها بالمزيد من القول :

ـ أخبريه بكل شىء . . ارو له كل ما يؤلمك فى قصة حياتك ، افتحى له أبواب قلبك التى تغلقينها دون الجميع ، واسمحى له بالدخول فلن تخسرى شيئًا . . إننا فى حاجة لبعضنا حتى نعيش حياة سوية يابنة خالى . .

نظرت (دينا) إلى (ولاء) التى تصغرها بأعوام كثيرة ، وقالت دون أن تلين ملامحها :

ـ من أين أتيت بكل هذه الحكمة يا من تصغرنى سنًا بأعوام كثيرة ؟!

ـ إننى تلميذة نجيبة فى مدرسة الحياة لا أكثر ولا أقل . .

ثم قطع رنين الهاتف تواصل الحوار . .

ردت (ولاء) تاركة (دينا) تغرق فى أفكارها ، غير أنها سرعان ما انتشلتها بالهتاف :

ـ (دينا) . . الهاتف لك . .

كانت (ولاء) تمد يدها بالسماعة نحوها ، وهى ترسم على وجهها بسمة تحمل أكثر من مغزى ، فسألتها (دينا) رغم أنها حدست الجواب :

ـ من ؟!

قالت (ولاء) بلهجة يفوح منها المكر :

ـ لا أدرى . . يقول إنه زميل لك من الإدارة يدعى (عمر زهران) . . !

تناولت (دينا) السماعة وهى تجاهد دقات قلبها المتعالية ، وفور أن وضعتها جوار أذنها تسرب دفء نبراته عبر الأسلاك :

ـ كيف حالك ؟!

اقتضاب :

ـ بخير . .

سألها مباشرة :

ـ هل توصلت إلى قرار ؟!

راوغته :

ـ بشأن ماذا ؟!

قال فى صراحة لا تنقصها المباشرة :

ـ السؤال . .

فهمت مقصده للوهلة الأولى ، لكنها ـ مع هذا ـ سألته كمن لا يفهم :

ـ أى سؤال ؟!

قالها فى مباشرة لا تنقصها الصراحة :

ـ هل تقبلين بى زوجًا لك وأبًا لأطفالك ؟!

لم تتوقع أن يحدثها فى الموضوع نفسه . .

لم تتوقع هذا أبدًا . .

قالت متهربة :

ـ نحتاج إلى التحدث فى عدة أمور أولاً . .

تحدث (عمر) بلهفة بالغة :

لا مانع لدى على الإطلاق . .

قالها فى حماس . .

ـ . . حددى فقط الوقت والمكان المناسبين . .

صمتت وهى تجهز ردًا مناسبًا ، وعلى الطرف الآخر كادت السماعة تتصهر فى يد (عمر زهران) . .

وفجأة تصاعدت رنة الاستدعاء . .

سمعها (عمر) آتية من غرفته . .

وسمعتها (دينا) آتية من غرفتها . .

وسمعها كل منهما آتية عبر الهاتف من الطرف الآخر ، مما يعنى أنهم يستدعونهما معًا مثل كل مرة . .

ومثل كل مرة أيضًا سيتم وضع الأمور الشخصية على رف جانبى ، حتى تنتهى المهمة القادمة لهما معًا . .

ولم يكن الاستدعاء خبرًا مبهجًا لأى منهما ، فى هذه المرة بالذات . . !

☆ ☆ ☆

٣ ـ الاختفاء الغامض ..

جلس العميد (منصور حرب) خلف مكتبه ، ناظراً بعينيه الحادتين اللتين تشبهان عينى الصقر نحو (عمر زهران) و (دينا واصف) ؛ اللذين كانا ينتظرانه فى الغرفة قبل أن يدخلها حاملاً أوراقه ونظراته . .

ـ كيف حالكما ؟!

سألهما فأجابا فى نفس الوقت :

ـ بخير . .

وجه العميد (حرب) سؤاله نحو (عمر) تحديداً :

ـ كيف حال قدمك بعد إصابة العملية السابقة(*) ، نقيب (عمر) ؟!

هز (عمر) كتفيه قائلاً فى لامبالاة ممتزجة بالمرح ، وهو يشير إلى قدمه التى ما تزال ملفوفة بالضمادات :

ـ لا بأس يا سيادة العميد . . إنها مجرد عضة كلب تتماثل للشفاء الآن ، وقد أخذت ما يكفينى من العقاقير المضادة للعدوى لو كان هذا ما يثير القلق . .

لاح شبح بسمة فوق وجه العميد (حرب) وهو يقول فى أبوة صادقة :

(*) راجع العدد السابق (عملية غضب المحيط) . .

ـ كلا ، ليس هذا ما يثيره بالطبع . .

ثم إنه توجه بحديثه إلى (دينا) ليشعرها بنفس القدر من الاهتمام :

ـ . . وما أخبار رسالتك الأكاديمية يا (دينا) ؟!

هزت (دينا) رأسها وقالت فى لهجتها العملية الأبدية :

ـ مازالت فى طور التحضير يا سيدى ، إن وقتى الذى يلتهمه العمل هنا لا يسمح لى بالتفرغ حتى أنهيها وأنال درجتى العلمية . .

اعتدل العميد (حرب) فى جلسته قائلاً :

ـ رغم أن هذا لا يسعدنا ، إلا أننا نحتاج إليك أكثر مما تحتاجه الجامعة الزاخرة بالأساتذة والمعيدين . .

قالت (دينا) دون أن تبتسم فى مجاملة :

هذا لا يضايقنى أنا الأخرى يا سيدي . .

ـ لندخل فى صلب الموضوع على الفور إذن . .

قالها العميد (حرب) ملتفتًا بمقعده الدوار نحو شاشة الحاسوب المتقدم ، الماثل فى ركن مكتبه ، بينما أكمل (عمر) عبارته فى صوت هامس :

ـ فالوقت ضيق كالمعتاد . . !

سمعها العميد (حرب) فابتسم فى أعماقه لكنه تجاوز عن العبارة ، وأشار إلى الخريطة التى احتلت شاشة الحاسوب على مرأى من (عمر) و (دينا) . .

إلى نقطة محددة على الخريطة كان يشير وهو يقول :

ـ هنا تقع مهمتكما القادمة . .

عقد (عمر) حاجبيه وهو يغمغم متسائلاً :

ـ شرق (أوروبا) ؟!

وعقدت (دينا) حاجبيها وهى تغمغم متسائلة :

ـ (رومانيا) ؟!

اشتبك كفا العقيد (حرب) على سطح مكتبه ، وهو يهز رأسه فى إيجاب قائلاً :

ـ أجل ، إلى (بوخارست) عاصمة (رومانيا) التى تقع فى شرق (أوروبا) سوف تسافران صباح الغد ، من أجل المهمة الجديدة . .

ران الصمت ، الذى قطعه (عمر) بقوله المداعب :

ـ أتعشم أن نعرف طبيعة المهمة قبل أن يأتى الغد يا سيادة العميد . .

لم يبتسم العميد (حرب) لمداعبته ، والتفت مجدداً إلى حاسبه الآلى الذى ارتسمت فوقه صورة ثلاثية الأبعاد ، تدور حول محورها :

ـ هذا هو الهدف الذى سوف تسعيان خلفه . .

رجل خفيف الشعر ، أسمر البشرة ، له نصف لحية دائرية سفلية خفيفة ، وهو وسيم الملامح إلى حد يثير إعجاب النساء وغيرة الرجال . .

أو سخريتهم اللاذعة . . !

من هذا ؟!

سأل (عمر) ، فأجاب العميد (حرب) :

ـ إنه أحد رجالنا ، نقيب (عمر) . .

قال (عمر) فى دهشة :

ـ ظننتك قلت أننا سنسعى خلفه يا سيادة العميد . .

قال العميد (حرب) فى رصانة :

ـ قلتها بالفعل يا عزيزى . . !

ظلت (دينا) صامتة كديدنها تتأمل وجه الرجل الوسيم الذى يدور ، فيما تراجع (عمر) فى جلسته قائلاً فى تسليم :

ـ أحتاج إذن إلى سماع القصة من بدايتها . .

قال العميد (حرب) مومئاً برأسه فى تأييد :

ـ كنت سأطلب منك هذا بنفسى ، نقيب (عمر) . .

غالب (عمر) خجله من مغزى العبارة الخفى ، فيما استطرد العميد (حرب) قائلاً :

ـ . . منذ ثلاثة أيام أتتنا رسالة عبر فضاء السايبر عن معلومات يراد بيعها للجهات الأمنية التى يهمها الأمر ـ ونحن منها بالطبع ـ مسجلة على قرص ضوئى ، والعرض لأعلى سعر ، قدمنا بالطبع عرضاً مغرياً للبائع الذى نعرف هويته ، وفضاء السايبر ـ كما لا تجهلان ـ ملىء بهؤلاء الذين يبيعون المعلومات المهمة بهذه الطريقة ، وقد تعاملنا معهم بصورة مباشرة فى غير مرة . .

هز (عمر) رأسه بالإيجاب دون أن ينبس ببنت شفة ، فيما حافظت (دينا) على جمودها المفعم بالتركيز ، واستمر العميد (حرب) يروى :

ـ . . لم تستغرق المراسلات بيننا وبين الجهة المجهولة التى تملك المعلومات المزعومة أكثر من يوم واحد ، تم بعدها الاتفاق على طريقة الدفع والتسليم والتأكد من صحة المعلومات وكافة التفاصيل الأخرى ، وتم إسناد هذه المهمة إلى عميلنا الذى تريان صورته على الشاشة أمامكما . .

نظر (عمر) إلى الشاشة ولم يستطع مقاومة رغبته فى التعليق :

ـ لم أره فى أروقة الإدارة من قبل . .

أشار العميد (حرب) إليه قائلاً :

ـ (سليم كنعان) ، كندى من أصل سورى ، يعمل مصوراً متجولاً حراً فى العلن ، وعميلاً سرياً لإدارتنا فى جميع أنحاء العالم سراً بالطبع ، وقد دخل (بوخارست) قبل أمس بهويته الصحفية التى قلما تثير الشكوك ، بعد أن أبرقنا إليه بتفاصيل المهمة التى يفترض القيام بها ، وهى مهمة بسيطة لا تنطوى على الخطر فى المعتاد ، سلّم واستلم بعد التأكد من صحة البضاعة التى سوف يتم تسلمها ، هذا كل ما هناك . .

لم يستطع (عمر) مقاومة رغبته فى المعرفة :

وما الذى حدث إذن ؟!

تحدثت (دينا) بدورها واضعة افتراضاً :

ـ هل انقلب على الإدارة وقرر العمل لصالح الخصوم مثلاً ؟!

هز العميد (حرب) رأسه بالنفى هذه المرة ، قائلاً :

ـ كلا ، الأمر أكثر غموضاً مما تقولين . .

ثم إنه أردف :

ـ . . لقد اختفى تمامًا فى قلب العاصمة فى نفس يوم دخوله لها . . !

هتف (عمر) مقطبًا فى ذهول :

ـ اختفى ؟!

عاد العميد (حرب) إلى قصته التى لم تكتمل بعد :

ـ كان المفترض أن يتم اللقاء مع الطرف المجهول فى نفس اليوم فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وقد خرج (كنعان) للقاء فى قلب العاصمة القديم ، حيث الميدان الشهير الذى يحط فيه الحمام ويطعمه فيه السياح بأيديهم ، ومن هناك حادثنا على الموجة السرية لهاتفه المحمول المتصل بالقمر الصناعى ، ثم انقطعت صلتنا به بعدها تمامًا . .

قطب (عمر) أكثر وهو يسأل :

ـ ألم تكن لنا عين عليه وهو هناك ؟!

أجاب العميد (حرب) :

ـ ضابط الحالة المكلف بالمتابعة والمراقبة من بعيد قال إنه ذاب فى الزحام ، فجأة لم يعد موجودًا كما تقول رسالته الشفرية بالحرف الواحد . .

غمغمت (دينا) وعقلها يعمل بأقصى طاقته :

ـ ثم ماذا ؟!

صمت العميد (حرب) هنيهة قبل أن يجيب بقوله :

ـ بحثنا عنه بكل الوسائل المتاحة ، لكننا فقدنا أثره كلية ، إذ لم يعد إلى الفندق الذى ترك فيه حقائبه ، ولم يحادثنا بأى وسيلة اتصال ممكنة . . الغريب فى الأمر هو ما حدث فى اليوم التالى . . !

سأل (عمر) مغالبًا لهفته الثائرة :

ـ وماذا حدث فى اليوم التالى ؟!

أجاب العميد (حرب) :

ـ لقد فوجئنا بأن الحجرة التى حجزها فى الفندق لا تزال باسمه ، وأن هناك من سدد قيمة حجزها كاملة لمدة عشرة أيام كاملة من بطاقته الائتمانية . . !

سأل (عمر) مغالبًا لهفته الثائرة أكثر :

ـ من فعلها ؟!

أجاب العميد (حرب) :

ـ لم ننجح للأسف فى تحديد هويته . .

قالت (دينا) بصوتها الذى لا يعلو ولا يحمل انفعالا على الإطلاق :

ـ لكن هذا يحمل مغزى ما بالتأكيد ..

أيدها العميد (حرب) :

ـ بالتأكيد ..

علق (عمر) مقطبًا :

ـ مغزى غير مريح على ما أعتقد ..

قال العميد (حرب) وهو يلتقط مظروفًا ورقيًا كبيرًا من درج مكتبه المفتوح :

ـ هذا ما نريد اكتشافه بسفركما إلى هناك ..

ثم إنه أخرج من المظروف الورقى الكبير :

ـ .. هذان جوازا سفر لكما بهويتين ملفقتين بالطبع ، أنت ـ يا (عمر) ـ سوف تصبح رجل أعمال خليجى ، و(دينا) سكرتيرتك اليوغوسلافية الخاصة ..

غمغم (عمر) فى تهكم :

ـ من العبقرى الذى صمم هاتين الشخصيتين ؟!

قال العميد (حرب) فى لين :

ـ الشخصيتان حقيقيتان ، نقيب (عمر) .. إننا فقط نستعير هويتيهما من أجل مهمتنا فى مقابل مبالغ محترمة واتفاقات سرية مبرمة ما بين الطرفين ، فهذا يضفى على الأمور المصداقية وينفى من حولها كثير من الشكوك ..

ثم أردف العميد (حرب) مستطردًا :

ـ .. ستهبط بكما الطائرة التى تقلع فى العاشرة صباحًا فى مطار (أوتوبينى) الدولى ، لن يستقبلكما هناك أى شخص من طرف الإدارة حتى نتجنب الشبهة ، لكنك ستجد فى مرآب المطار سيارة (جولف) ألمانية مستأجرة ، هاك مفتاحها ..

ألقى العميد (حرب) بسلسلة مفاتيح نحوه فور إتمامه لعبارته ، فالتقطها (عمر) بمهارة ، فى حين تابع الأول :

ـ .. القيادة من المطار إلى قلب (بوخارست) ستستغرق أقل من نصف الساعة دون اللجوء إلى تجاوز السرعات القانونية ، وهناك فى فندق (ماريوت بوخارست) ستجد حجزًا لك ولسكرتيرك

فى غرفتين منفصلتين متجاورتين ، وفور وصول الحقائب إلى غرفتك ستبدأ مهمتك وفقًا للخطة الموضوعة . .

تساءل (عمر) من جديد :

ـ هل سيحتاج الأمر إلى تنكر من أى نوع ؟!

ـ كلا . .

أجابه العميد (حرب) . .

ـ . . لا توجد قرائن تحملنا إلى تغيير هيئتك . .

قالت (دينا) وهى تضيق عينيها الجميلتين خلف عدستى النظارة :

ـ بقى أن نعرف تفاصيل الخطة الموضوعة . .

ـ بالضبط . .

قالها العميد (حرب) ، ثم :

ـ . . استمعا إلىَّ جيدًا ، فالمهمة ـ على سهولتها الظاهرة ـ ليست سهلة بالمرة ؛ فى هذه المرة . . !

☆ ☆ ☆

٤ ـ إنهم خلفنا ..

على الطريق الأسفلتى الممتد بين الجبال والطبيعة الخضراء ، انزلقت السيارة (الجولف) الحديثة السوداء اللون فى نعومة ، والشمس تتوسط صفحة السماء الرائقة . .

ـ مازلت عند رأيى ، فى مجال المنافسة ليس هناك من يتفوق على الألمان فى صناعة السيارات . .

قالها (عمر) وهو يضغط دواسة الوقود إلى أقصى حد تسمح به السرعة على طريق سريع كهذا ، ولم ترد (دينا) المنهمكة فى عملها على جهاز حاسوب مزود بقلم أسود ، فأضاف (عمر) وهو يلاحظها تفعل ما تفعل :

ـ . . ولا اليابانيين فى صناعة الحواسيب الصغيرة . .

قالت دون أن تنظر نحوه ، وما زالت منهمكة فى عملها الذى لا يعرف كنهه :

ـ هذا الحاسوب مصنوع فى (ماليزيا) . . !

تجاهل (عمر) ما فى قولها من استهانة بتعليقه ، وأرسل بنظرة إلى مرآة السيارة الجانبية قبل أن يغمغم بعبارة غير مسموعة ، ثم يدير المقود جهة اليمين

بحركة حادة ، دفعت (دينا) إلى الاهتزاز فوق مقعدها رغم حزام الأمان المربوط . .

رفعت (دينا) عينيها ـ وقد انعقد حاجبيها فوقهما ـ من على شاشة الحاسوب الصغيرة إلى (عمر) فى استنكار ، وكادت تتفوه بشىء ما ؛ قبل أن تفاجأ بالجهة التى استدارت نحوها السيارة . .

ـ المزيد من الوقود لن يضر بالتأكيد . .

دلفت السيارة إلى محطة الوقود القائمة على جانب الطريق ، وأوقفها (عمر) على الفور فى نفس اللحظة التى لاحظت فيها (دينا) أن مؤشر الوقود يشير إلى ما يقارب الاكتمال . . !

ـ لكن هذا سيعطلنا حتمًا . .

قالتها (دينا) وقد انعقد حاجباها أكثر ، ففتح (عمر) الباب المجاور لسيارته قائلاً :

ـ إنها وسيلة للتأكد لا أكثر . .

سألته بسرعة قبل أن يهبط من السيارة :

ـ التأكد من ماذا ؟!

فوجئت به يميل نحوها حتى كاد وجهه يلامس

وجهها ، وحتى أزكمت أنفها رائحة عطره الرجالى الثقيل ، ويهمس قائلاً :

ـ من أن هؤلاء يتبعوننا منذ تركنا المطار بالفعل . .

أشار بإبهامه فى حركة خفية إلى جهة مبهمة فى الخارج ، بمجرد أن نظرت إليها فهمت مقصده . .

كانت سيارة (جراند شيروكى) ضخمة لها لون أسود لامع تخفف من سرعتها على جانب الطريق ، وقد جعل زجاج النوافذ العاكس ملاحظة من فى داخلها غير ممكن . .

لابد أن (عمر) قد لاحظ أنها تتبعهما منذ البداية ، وقرر التأكد بهذه الحركة التى لا يمكن وصفها إلا بالبراعة ؛ هكذا فكرتْ . .

هبط (عمر) بسرعة تاركًا إياها تسبح بين خواطرها ، واتجه من فوره إلى منصة الوقود ساحبًا مسدس التزويد ، وأسرع بدسه فى فتحة الخزان ، مرسلاً بنظرة مختلسة إلى السيارة التى توقفت الآن تمامًا على جانب الطريق ، أمام محطة الوقود مباشرة . .

ـ يبدو أنكم لا تريدون أن تتركوا لى مجالاً للشك يا أصدقاء . .

تمتم بها (عمر) كأنه يخاطب بها من لا يراهم فى داخلها ، ثم إنه ترك عداد اللترات الرقمى فى المنصة يعمل ، واتجه فى خطوات واسعة نحو السوبر ماركت الملحق بالمحطة ، اختفى داخله لفترة حتى توقف العداد عند عدد قليل من اللترات الناقصة . .

ـ ماذا تفعل فى الداخل يا (عمر) ؟!

همست بها (دينا) وهى تحاول استجلاء ما يفعله من خلال الواجهة الزجاجية للسوبر ماركت دون جدوى ، غير أنه سرعان ما ظهر خارجًا وعلى وجهه بسمة مرح ، وفى يده شيئًا ما ابتاعه من الداخل لم تستطع (دينا) تبين كنهه من موقعها . .

أعاد (عمر) مسدس الوقود إلى مكانه وأغلق باب الخزان ، ثم عاد ليركب أمام المقود دون أن تتلاشى بسمة المرح من فوق وجهه . .

كانت (دينا) خلال هذا تفكر : هل اشترى علبة لادن ؟! هل اشترى قطعة من الشيكولاتة ؟! هل يكون شريط تسجيل مثلاً ؟! هل هو الوقت المناسب لفعل أى من هذه الحماقات ؟!

ـ تفضلى واحدة . .

فوجئت به (دينا) يمد يده بعلبة سجائر فاخرة مفتوحة ، فتجمدت ذاهلة قبل أن تقول ناظرة فى عينيه مباشرة :

ـ لم أكن أعرف أنك تدخن . .

التقط سيجارة ليكسر نظام الصف ، ويقول فى استمتاع :

ـ أنا أيضًا لم أكن أعرف . .

عجزت عن فهمه ، وظهر هذا جليًا على ملامحها ، بينما أخذ هو يبحث عن شىء ما فى ملابسه ، قبل أن يقول :

ـ . . لحظة واحدة وأعود إليك . .

لدهشتها العارمة عاد يهبط من السيارة ، ولدهشتها العارمة أكثر وأكثر رأته يتجه نحو آخر مكان توقعت أن يتجه إليه . .

نحو السيارة (الجراند شيروكى) ذات الزجاج العاكس !

قطع (عمر) الطريق الذى مرت عليه سيارة مسرعة أطلقت النفير من خلفه ، واتجه فى خطى ثابتة نحو السيارة التى لم تتحرك ، وإن دار محركها فى

إشارة واضحة لارتباك الجالسين فى داخلها أيًا كانوا . .

ـ تبًا ، إنه يتجه نحونا يا (بولانسكى) . . !

هتف بها السائق الضخم نوعًا الذى يرتدى نظارة شمسية تخفى عينيه ؛ وإن كانت لا تخفى شحومه المترهلة فى أنحاء جسده ، مشيرًا بإصبعه الذى يشبه السجق إلى (عمر) المقترب فى الخارج باطراد ، وقد أدار المحرك بحركة لا إرادية ناتجة عن الهلع . .

ـ (توربيدو) . . ماذا تفعل ؟! لا تتحرك بالسيارة أيها الـ . .

هتف بها (بولانسكى) الأشقر الرشيق الجالس إلى جواره مرتديًا بذلة كاملة أنيقة ونظارة شمسية أكثر أناقة فى حنق ، مطلقًا فى النهاية سبة لا تجيزها الرقابة لمن هم دون سن البلوغ . . !

هتف (توربيدو) بنفس الذعر الذى جعله يشبه إعصارًا حقيقيًا :

ـ من الواضح أنه قد كشف أمرنا . . ماذا سنفعل يا (بولانسكى) ؟!

نظر (بولانسكى) بعد أن رفع نظارته الشمسية عن عينيه الجاحظتين ، وتحسس مكمن مسدسه أسفل ملابسه مغمغمًا :

ـ على الأقل لا نعطيه تأكيدًا بأننا نتبعه أيها الأحمق . . !

عاد (توربيدو) يهتف وهو يهتز كقطعة ضخمة جدًا من الجيلى :

ـ أقترح أن نطلب الزعيم ونسأله إن . . .

قاطعه (بولانسكى) بنظره حارقة وهو يقول زاجرًا :

ـ أقترح أنا أن تبتلع لسانك وتدعنى أتصرف ما دمت أملك ما تفتقده . .

ثم إنه أشار إلى دماغه ، فى اللحظة التى توقف فيها (عمر) إلى جوار السيارة تمامًا وفى يده السيجارة المنطفئة ، وببنانه طرق على زجاج المقعد المجاور للسائق . .

بعد هنيهة هبط الزجاج العاكس أتوماتيكيًا ، ورأى (عمر) الجالسين فى الداخل ينظران إليه نظرات صامتة تفوح منها روائح القسوة . .

ـ مرحبًا أيها الرفيقان .

هتف بها عمر متصنعًا المرح ، ثم أردف سائلاً بنفس اللهجة المستفزة :

ـ . . هل تستمتعان بهذه الوقفة الجميلة إلى جانب الطريق ؟!

كان (عمر) يتحدث بالإنجليزية ، فسأله (بولانسكى) بنفس اللغة التى شابتها بعض الركاكة :

ـ ماذا تريد ؟!

قالها فى صرامة وبوجه صخرى جاف ، فلوح (عمر) بالسيجارة فى يده :

ـ هل لديك ما أشعل به سيجارتى هذه ؟!

ضغط (توربيدو) على قداحة السيارة دون تفكير ، بينما أشار (بولانسكى) إلى (الجولف) الواقفة داخل المحطة متسائلاً بنفس لهجته الصارمة :

ـ ألا توجد لديك قداحة فى السيارة ؟!

بحركة تمثيلية ضرب (عمر) قبضته فى راحته ، متصنعًا الأسف وهو يقول :

ـ عذرًا يا صديقى ، أحيانًا تفوتنى بعض البديهيات البسيطة .. بالفعل لدى قداحة فى سيارتى لكنى لم أنتبه لهذا عندما اكتشفت أننى قد أضعت قداحتى الذهبية و ..

قاطعته التكة التى أصدرتها القداحة داخل السيارة ، فأخرجها (بولانسكى) من مكمنها فى عصبية ، وناولها إلى (عمر) بالاحمرار المتوهج فى داخلها ، قائلاً :

ـ تفضل ، بسرعة من فضلك ..

أشعل (عمر) السيجارة فى احتراف ، ثم إنه ناول القداحة إلى (بولانسكى) قائلاً :

ـ شكرًا يا صديقى ، إننى مدين لك بشعلة .. !

رفع (بولانسكى) زجاجه الكهربائى العاكس فى سرعة بما يعنى انتهاء الحوار ، واستدار (عمر) عائدًا إلى سيارته ..

ـ هل تعتقد أنه قد كشف أمرنا ؟!

تساءل (توربيدو) داخل السيارة فى توتر ، وهو يراقب (عمر) العائد نحو سيارته فى الناحية الأخرى من الشارع ، فأجابه (بولانسكى) باقتضاب :

ـ سنرى ..

وأخرج من جيب سترته هاتفًا محمولاً حديثًا ، أسرع يضغط عليه رقمًا طويلاً ، ثم وضعه إلى جوار أذنه ، فى اللحظة التى درات فيها سيارة (عمر زهران) على جانب الشارع الآخر بالفعل مستعدة للانطلاق ..

ـ هل أسير خلفه أم ... ؟!

تساءل (توربيدو) بارتباك عظيم ، غير أن (بولانسكى) قاطعه بحركة صارمة من يده وأخذ يتحدث فى الهاتف :

ـ نعم يا سيدى .. نحن خلف الهدف ، لكن أمرًا طارئًا قد حدث .. لا نعلم إن كان قد كشف أمرنا أم لا لكنه ....

وروى القصة فى اختصار ، بينما تلوح سيارة (عمر) فى نهاية الطريق :

ـ .. السؤال الآن : هل نظل فى إثره أم نلغى المهمة ونعود أدراجنا ؟!

فى سيارة (عمر) كان هذا الأخير يضحك فى استمتاع ، وهو يدفن السيجارة التى لم يتسرب نفس منها إلى رئتيه فى قاع المنفضة ، وتابعته (دينا) فى صمت حتى انتهى وقال ضاحكًا :

ـ كان يجب أن ترى شكليهما عندما طلبت منهما القداحة ..

قالت (دينا) فى هدوء ثابت الجنان :

ـ فى رأيى أن ما فعلته قد يعرضنا لخطر ربما نكون فى غنى عنه ..

هز رأسه فى موافقة وقال ملوحًا بيده الحرة :

ـ صحيح ، لكنى كنت أتأكد إن كان أحدًا يسعى خلفنا أم لا ، وفى هذه الحالة يمكن التصرف طبقًا للمستجدات حتى نرى ما حولنا بصورة أوضح ..

سألته بنفس الهدوء الثابت الجنان :

ـ وما النتيجة التى توصلت إليها ؟!

أشار إلى مرآة السيارة التى تفصل بينهما قائلاً فى بسمة ثقة :

ـ يمكنك أن ترى بنفسك ..

نظرت ورأت السيارة تسعى خلفهما من جديد من على مسافة بعيدة ، فغمغمت لنفسها :

ـ ربما ...

قاطعها وهو يعتدل أمام المقود :

ـ لا تخشى شيئًا ، خطتنا سائرة كما هى ما لم يجد جديد ، كل ما هنالك أننا نعرف الآن أنهم خلفنا .. !

نظرت إليه فى تساؤل صامت ، فرأته يستنشق الهواء ليملأ به صدره هاتفًا فى نشوة :

ـ .. هذه زيارتى الأولى إلى (رومانيا) ، تمنيت كثيرًا أن أزورها وها هى الأمنية تتحقق ، بعد انتهاء المهمة لابد أن أزور قصر (دراكيولا) وقصر (تشاوسيسكو) الطاغية الذى أصبح برلمانًا الآن ، هل ستأتين معى ؟!

ظلت تنظر إليه فى تساؤل صامت يسهل استنتاج إجابته :

كيف يمكن أن يتمتع (عمر) بهذه الروح المحلقة فى السماء وهما مقبلان على خطر وبيل لا يعلمه إلا الله ؟!

ـ . . من أجمل الأفلام المصرية التى شاهدتها فيلم يحمل عنوان (أمريكا شيكا بيكا) ، هل شاهدته ؟! الكثيرون لا يحبونه لكنى أراه تحفة فنية ، عندما كنت فى الثانوية دخلته ثلاث مرات ، وقد عاقبتنى أمى ـ عندما دخلته دون علمها ـ بعدم مغادرة المنزل لمدة ثلاثة أيام كاملة . . مع هذا ظللت أحبه . . هذا الفيلم تم تصويره هنا فى (رومانيا) لو كنت شاهدته ، وهو يروى عن . . . !

تركته (دينا) يثرثر وعادت تنخرط فى العمل على حاسوبها الصغير بقلمها الأسود ، مرسلة بصرها بين الحين والآخر إلى المرآة المجاورة لها ، حيث السيارة السوداء تتبعهما فى إلحاح من على المسافة البعيدة الثابتة ، وسائلة نفسها باستمرار :

ترى ، من يكون هؤلاء ؟!

☆ ☆ ☆

٥ـ الرقم (١٧) ..

فى مطعم الفندق الفخم جمعتهما مائدة الغداء . .

ـ جاهز ؟!

سألته (دينا) وهى تتناول قطعة اللحم بشوكة لامعة فى يدها ، وتمضغها على مهل ، فتبسم (عمر) فى جلسته أمامها ، وتحدث باللهجة الخليجية قائلاً :

ـ بشدة يا عزيزتى . . !

مسحت يدها فى منديل المائدة أمامها وهى تقول :

لا أعلم كيف يمكنك الاحتفاظ بهذه الروح ونحن مقبلان على خطر وبيل لا يعلم مداه إلا الله وحده ؟!

غمزها بقوله :

ـ كل المهام تنتهى ، كونى واثقة من هذا . . !

نظرت فى ساعة معصمها التى تجاوزت الثانية ظهراً وهى تتساءل :

ـ متى نبدأ التنفيذ ؟!

عاد يغمزها ويقول :

ـ التنفيذ قد بدأ بالفعل يا حلوى القلب . .

قطبت وسألته :

ـ ماذا تعنى ؟!

ألقى أمامها بمفتاح غريب الشكل إلى جوار الطبق الذى أمامها ، فقطبت أكثر وهى تهمس فى بطء شديد :

ـ . . لا تحاول أن تقول لى إن هذا هو . . .

قاطعها وهو يهز رأسه باسما :

ـ نعم ، هو . . المفتاح الرئيسى لجميع غرف الفندق . . !

وضعت يدها فوقه بسرعة ، ونظرت حولها بسرعة قبل أن تهمس به محنقة فى سرعة :

ـ وتلقيه على المائدة هكذا أمام الجميع ؟!

هز كتفيه وهو يقول كطفل مشاغب :

ـ لا تكونى حنبلية يا عزيزتى . . من يهتم بهذه الصغائر سوى فى أفلام الجاسوسية ؟!

قالت فى غيظ :

ـ أنت بنفسك اكتشفت أننا مراقبان . .

مد (عمر) يده معيدًا المفتاح إلى جيبه ، وهو يقول لا مباليًا :

ـ إن كان هذا بالتحديد ما يضايقك فها هو ذا . . !

تنهدت نافثة ضيقها ، وعادت تنظر نحوه سائلة :

ـ والآن ماذا ؟!

قال مواصلا طعامه دون كثير من الاهتمام :

ـ لا شىء . . أنهى الطعام ثم أصعد لاستكشاف الغرفة / الهدف رقم ٣١٣ كما تقتضى الخطة الموضوعة فى الإدارة ، التى يصفها رئيسى بأنها بسيطة لكنها قد تنطوى على كثير من الخطر . .

لم تجد ما ترد به ، غير أن (عمر) تابع وعيناه تتألقان فى مرح :

ـ . . تصورى أن هذه الغرفة تقع فوق غرفتى مباشرة ، لو كنا فى فيلم من أفلام العميل ٠٠٧ لتسلقت جدار الفندق من الخارج حتى أدلف على الغرفة فأجد فى داخلها ثلة من القتلة المحترفين ، أو ربما قنبلة موقوتة يكاد ينتهى عدها التنازلى . .

نهضت (دينا) فجأة ، قائلة فى نفاد صبر :

ـ سأصعد إلى غرفتى ، كن على اتصال بى كما اتفقنا . .

ـ سأفعل . .

قالها لكنها لم تسمعها ، فهز كتفيه وعاد إلى طعامه . .

حاولت (دينا) وهى فى طريقها إلى مغادرة المطعم أن تتفرس فى وجوه الجالسين علها تجد فى أى منهم ما يريب ، بالتأكيد هناك عين عليهما حتى هنا . .

غير أنها ـ وقد غادرت المطعم بالفعل ـ لم تنتبه إلى أن النادل الأنيق الذى رفع طبقها من فوق المنضدة أمام (عمر) ، قد سدد نحوه ـ ونحوها ـ نظرة مريبة ، وفور أن عاد إلى المطبخ رفع سماعة الهاتف المجاور ، وتحدث فيها على الفور :

ـ الفتاة صعدت إلى غرفتها ، والرجل ما زال يتناول طعامه . .

صمت . .

ـ . . بالتأكيد سوف أبلغكم عندما يصعد . . إلى اللقاء . . !

☆ ☆ ☆

ثبت (عمر) السماعة الدقيقة التى ينبعث منها ذراع معدنى قرب فمه ، وهمس بصوت خفيض للغاية :

ـ أسمعك بوضوح يا (دينا) ، هل تسمعينى ؟!

قالت (دينا) من غرفتها المجاورة لغرفة (عمر) فى الفندق الفخم ، وفى أذنها سماعة مشابهة للسماعة التى فى أذن (عمر) :

ـ أسمعك . .

ـ تمنَّ لى التوفيق إذن . .

قالها (عمر) من غرفته ، ملقيًا بنظرة أخيرة على ملابسه البسيطة بحيث تسهل حركته فى مرآة الغرفة ، ثم إنه ألقى بعدد من النظرات الأخيرة على الغرفة الفاخرة عمومًا ، حقائبه الفارغة التى جلبها معه للتمويه ، السرير المرتب والستائر المسدلة ، كل شىء فى مكانه ، والسلاح الذى ركب أجزاءه بنفسه قبل قليل فى مكمنه تحت ملابسه . .

ـ أتمنى لك التوفيق بالتأكيد . .

قالتها (دينا) فى غرفتها وهى تعمل على حاسوب نقال متطور ، موصل بالإنترنت عبر وصلة فى جدار الغرفة خاصة بالفندق ، فى الوقت الذى اتجه فيه (عمر) إلى الباب وغادر الغرفة جاذبًا بابها خلفه . .

وفى الممر سار بين الغرف فى بطء وحذر . .

ـ أنا الآن أسير فى الممر بين الغرف ، للدقة أعبر أمام غرفتك مباشرة . .

قالها (عمر) محدثًا (دينا) التى قالت فى غير اكتراث :

ـ ثم ماذا ؟!

توقف (عمر) أمام المصعد وضغط زر طلبه :

ـ أنا الآن أمام المصعد . .

عادت تقول :

ـ ثم ماذا ؟!

انفتح مصراعا المصعد وغادره عامل خدمة غرف يحمل صينية فضية على هيئة قبة فضية لامعة ، فى حين دس (عمر) نفسه فى المصعد وضغط زر الطابق الثالث ؛ الذى يعلو الطابق الذى ينزلان فيه مباشرة . .

حدثها عبر المذياع الدقيق :

ـ أنا الآن فى المصعد . .

فسألته دون اكتراث :

ـ ثم ماذا ؟!

فأجاب :

ـ ضغطت زر الطابق الثالث . .

هنا عيل صبرها فقالت دونما استياء واضح (لكنه ضمنى) :

ـ حاول أن تتحدث عندما تكون هناك ضرورة لذلك فقط . . !

ـ سأفعل . . !

قالها وهو يهرش فى رأسه الحليق مداريًا حرجه الأبدى ، وانفتح مصراعا المصعد عندما بلغ الطابق الثالث بمنتهى السرعة . .

خرج (عمر) من المصعد وكان الممر خاليًا ، نظر فى ساعته التى أشارت إلى الثالثة بعد الظهر وزفر فاركًا كفيه ثم اتجه رأسًا إلى هدفه ، حتى توقف أمام باب الغرفة رقم (٣١٣) . . من جيبه أخرج المفتاح الرئيسى ودسه فى ثقب الباب الذى انفتح بيسر ، وعلى الفور دلف بعد أن تأكد أن أحدًا لا يراقبه ، وأغلقه من خلفه حريصًا على ألا يصدر منه أى صوت . .

هكذا تم تنفيذ أولى بنود الخطة بسهولة تامة . .

كان كل شىء واضحًا فى ضوء القيلولة المتسرب من الخارج ، فالستائر جميعها منزاحة عن النوافذ ، والغريب أن لاشىء فيما رآه يوحى بالغرابة . . !

لا شىء بالمرة . .

الحقائب جميعها فى مكانها بجوار الباب ، متراصة إلى جوار بعضها ، السرير مرتب ، لا توجد أى متعلقات شخصية على المناضد ، ليس إلا الحاسوب

النقـال المفتـوح والموصل بالكهرباء عـبر قـابس ، والإنتــرنت عـبـر وصلة فى الحـائط القـريب ، لكنه مغلق . .

ـ أنا الآن داخل الغرفة / الهدف . .

قالـها (عمـر) لاهثًا من الانـفعال ، فسألتـه (دينا) بلهجتها رابطة الجأش :

ـ هل ترى ما يريب ؟!

أجابها وهو يحيل عينيه فى الحجرة :

ـ لا توجـد آثار عنف ، وليس أمـامى إلا حـاسوب نقال مغلق . .

هتفت فيه على الفور ، وقد خيل إليه أن فى نبراتها ـ أخيرًا ـ بعض الحماس :

ـ هائل ، افتحه على الفور . .

استند (عمـر) على الأرض بركبتيه أمـام الحاسوب الموضـوع على كـرسى قـرب الحـائط ، وضـغط زر التشغيل على الفور . .

ـ . . ماذا هناك ؟!

سـألته بنبـرات خيل إليـه أن فيـها بعض اللهـفـة ، فأجابها فى تهوين :

ـ أنت خبيرة فى الحاسبات الآلية ، وتعرفين بالتأكيد أن هذه الأجهزة تستغرق وقتًا لكي تبدأ العمل . .

قالت :

ـ ليس أكـثــر من الوقت اللازم لقـول عـبـارتك الأخيرة . . !

قال :

ـ أنت محقة ، لقد بدأ فى العمل بالفعل . .

سألت :

ـ ماذا لديك إذن ؟!

أجاب :

ـ حاسوب نقال يعمل ، لاشىء أكثر . . !

سألته مرة أخرى :

ـ أعنى ، ماذا ترى أمامك ؟!

حدق (عمر) فى الشاشة قبل أن يجيبها مرة أخرى :

ـ أيقونات على سطح الشاشة لا أعرف ماهيتها . .

ضاقت به ذرعًا فسألته فى النهاية :

ـ هل الحاسوب موصل بالإنترنت ؟!

هز رأسه بالإيجاب كأنها ستراه وهو يقول :

- أجل عبر وصلة فى الحائط . .

قالت فى حسم ضاغطة أزرار لوحة المفاتيح أمامها :

- اترك لى هذه المهمة إذن . .

وبدأت (دينا) فى العمل بالفعل عبر جهازها المتطور الموصل بالإنترنت بدوره عبر نفس الوصلة الفندقية ، فيما نهض (عمر) من أمام الجهاز قائلاً :

- أومن بالمثل القائل (أعط الخبز للفران حتى لو التهم نصفه) ، الحاسوب لك وباقى الغرفة لى إذن . .

عاد (عمر) يجيل بصره فى أنحاء الغرفة ، قبل أن يبدأ فى تفتيشها بدقة . .

الحقائب فارغة مثل حقائبه ، يعلم هذا ويعلم أنها للتمويه ، المسافر بلا حقائب يثير دوائر الشك حوله دائمًا . .

لا توجد ملابس تركها (سليم كنعان) المختفى ، يبدو أنه جاء بالملابس التى عليه فقط . .

الحمام لم يُستخدم إن لم يكن عاملو خدمة الغرف يباشرونه منذ الاختفاء الغامض . .

لا نقود ، لا أوراق ، لا صور ، لا شىء إن لم يكن هذا واضحًا . .

- هل عثرت على شىء يا (دينا) ؟!

سألها فى يأس بعد أن مشط الغرفة دون أن يجد خيطًا ، فأجابته وتكات لوحة المفاتيح تنساب مع صوتها عبر سماعة أذنه :

- أنا الآن فى قلب المزود الخاص بالفندق ، وبعد لحظات سأكون فى قلب الحاسوب الذى عندك . .

قال فى قنوط وهو يشد عضلات ظهره المتيبسة :

- من جانبى لم أجد شيئًا يذكر . .

قالت كأنها لم تسمعه والتكات تلاحق صوتها :

- امنحنى بعض الوقت فقط . .

استدار فى وقفته ليواجه النافذة الكبيرة المطلة على ضوء الشمس فى الخارج ، وليصدر عموده الفقرى صوت طرقعة من جراء الحركة المفاجئة :

- لديك الوقت كله يا عزيـ . . .

وبتر عبارته مع ما لمحه ، كبرق لحظى خاطف . .

انكسار ضوء الشمس على سطح لامع ، من جهة البناية المقابلة للفندق ، لا يفصل بينهما إلا شارع كبير ثنائى الاتجاه . .

اقترب من النافذة مبهوتًا وهو يضيّق عينيه حتى تتشربان الضوء الكثيف ، وحتى تتضح لهما التفاصيل الدقيقة لهذا الواقف فى المبنى البعيد يحمل منظارًا معظمًا يراقبه به . .

هو بالذات . .

- إنهم ما زالوا خلفنا إذن . . !

تمتمت بها شفتا (عمر) ، وكان المذياع قرب فمه حساسًا حتى أنه نقل الصوت بوضوح إلى أذن (دينا) ، التى توقفت أصابعها عن العمل للحظة . .

- ماذا تقول يا (عمر) ؟! من هؤلاء الذين ما زالوا خلفنا ؟!

- لا أدرى . .

قالها متحفزًا ، مع اختفاء الانعكاس من أمام عينيه ، واستدار نحو باب الغرفة على الفور متابعًا :

- . . لكن الأمر يستدعى أن تتغير الخطة طبقًا للمستجدات مرة أخرى . .

سألته (دينا) من غرفتها فى قلق :

- ماذا تعنى ؟!

قال ملقيًا بنظرة خاطفة إلى جهاز الحاسوب النقال المفتوح على المقعد :

- لا عليك ، اهتمى أنت بالحاسوب وأنا سأتابعك بما يجرى أولاً بـ . .

بتر عبارته مجددًا ، وهو يحدق فى شاشة الحاسوب المفتوح . .

- . . . أول . .

أتت بقية العبارة ذابلة منكسرة مما دعا (دينا) لسؤاله والتوتر يستبد بصدرها :

- ما الذى يجري عندك بالضبط يا (عمر) ؟!

لم يجبها (عمر) وهو يحدق فى الشاشة أكثر وأكثر . .

كان برنامج حافظ الشاشة Screensaver قد بدأ فى العمل بعد أن تم ترك الجهاز مفتوحًا دون استخدام لعدة دقائق ، ولم يكن هذا فى حد ذاته مدعاة للغرابة . .

- لكن ما دعا للغرابة بالفعل هو أن هذا البرنامج كان يعرض صورة تضىء وتنطفئ عبر الشاشة فى عشوائية غير منتظمة . . !

صورة لرقم (١٧) داخل دائرة تصويب . . !!

ـ . . (عمر) . . هل تسمعنى ؟! أجبنى من فضلك لو كنت تسمعنى . . ما الذى يجرى عندك بالضبط ؟!

ـ كان (عمر) منشغلاً بالتفكير فى سؤال واحد :

ترى هل تحمل هذه الشاشة رسالة ما ؟!

أم أنها محض صدفة ؟!

ـ لا شىء . .

نطق بها (عمر) أخيرًا وهو يعدو نحو باب الغرفة ، مركزًا تفكيره فى أمر واحد . .

ـ . . كما أخبرتك ، اهتمى بأمر الحاسوب وأخبرينى بما يستجد لديك أولاً فأولاً . .

يجب عليه الآن أن يلحق بمن يراقبونه . .

فهذا هو الخيط الوحيد الذى عثر عليه فى الغرفة . .

والسرعة الآن هى الفيصل بينه وبينهم . .

أيًا كانوا . . !

☆ ☆ ☆

٦ ـ المطاردة ..

عندما بلغ (عمر زهران) بوابة الفندق ، مهرولاً من جهة المصعد الذى هبط به إلى أسفل فى غضون ثوان معدودة ، رأى كل التفاصيل على الفور . .

وفى الوقت المناسب . .

رأى رجلاً رشيقًا فى بذلة كاملة ، يحمل نظارة معظمة ، يصعد إلى سيارة (جراند شيروكى) سوداء ذات زجاج عاكس تربض فى نهاية الشارع ، ثم تنطلق السيارة به ـ وبالبدين الذى يقودها بطبيعة الحال ـ فى سرعة رهيبة ، وقد أصدر احتكاك إطاراتها بأسفلت الشارع صريرًا سمعته (بوخارست) كلها تقريبًا . .

ـ انطلق يا (توربيدو) . .

هتف بها (بولانسكى) وهو يتخذ موقعه إلى جواره فى (الجراند شيروكى) السوداء ، مغلقًا الباب خلفه فى سرعة وملقيًا بالنظارة المعظمة فى يده إلى أرضية السيارة الخلفية ، محاولاً السيطرة على لهاثه . .

ـ هل كشف أمرنا مرة أخرى يا (بولانسكى) ؟!

صاح بها (توربيدو) فى ذعر ، فصاح به (بولانسكى) بدوره فى غضب عارم :

- انطلق أولاً يا جسم الفيل ومخ النملة قبل أن يلحق بنا ..

أدار (توربيدو) المحرك على الفور وانطلقت السيارة بهما بالفعل ..

- إنهم هم مرة أخرى ..

غمغم بها (عمر) وهو يضم قبضته فى تحد ، فعاجلته (دينا) بالسؤال عبر أذنه ، وأناملها الرقيقة تنساب عبر أزرار لوحة المفتاتيح كأنها تعزف مقطوعة موسيقية :

- هم من ؟! الذين كانوا يلاحقوننا منذ كنا فى المطار ؟!

هتف وهو يجيل عينيه فى الشارع ذى الاتجاهين أمامه :

- أجل .. لكنى لن أتركهم هذه المرة ، إنهم الخيط الذى يمكننا تتبعه ..

قالت (دينا) وهى لا تزال تعمل فى دأب :

- خذ الحذر ..

قال (عمر) وقد اتخذ قراره ، والسيارة السوداء تبتعد فى عمق الشارع ؛ حتى كادت تغيب فى الأفق القريب :

- سأحاول ..

ثم إنه قفز بمهارة عبر الرصيف الذى يقف عنده ، معترضًا طريق شاب يقود دراجة نارية حديثة ، ويضع على أذنيه سماعتى (ووكمان) كبيرتين ، وهو يلوح بذارعيه ..

ارتبك الشاب الذى وجد نفسه مضطرًا للميل بدراجته جانبًا بعيدًا عن نهر الطريق ، وارتبك أكثر عندما قفز (عمر) مرة أخرى نحوه مباشرة هذه المرة ، فدفعه من فوق الدراجة هاتفًا بالإنجليزية فى لهجة توحى بالخطر :

- معذرة يا صديقى ، إنها حالة طوارئ قصوى ..

سقط الشاب من فوق دراجته ، وعندما رفع عينيه الذاهلتين وجد (عمر) قد اعتلاها بالفعل ، واستدار فى الجهة المقابلة حيث سارت السيارة التى اختفت فى الأفق تقريبًا ، وبدون لحظة تأخير إضافية انطلق (عمر) بالدراجة فى إثرها دون أن ينطق الشاب الذاهل ولو بكلمة ..

- ما هذه الضوضاء المريبة لديك يا (عمر) ؟!

سألته (دينا) فأجابها وهو يضغط دواسة الوقود فى الدراجة النارية بجنون حقيقى :

- لا عليك ، لو حدث مكروه سأخبرك . .

ثم إنه سألها والسيارة / الهدف تلوح فى الأفق ، بعيدة كذبابة سوداء وسط زحام من السيارات والألوان الأخرى :

- . . هل وصلت أنت لشىء ؟!

قالت وهى تعمل بكل حواسها :

- فى أقل من دقيقة سأكون داخل الجهاز . .

ابتسم فى تهكم مغمغمًا :

- كلانا فى سباق مع الزمن إذن . .

فى داخل (الجراند شيروكى) السوداء كان (بولانسكى) ينظر إلى الزجاج الخلفى قائلاً وهو يضغط على أسنانه فى حركة عصبية :

- إنه خلفنا الآن . .

كان رد (توربيدو) غريبًا :

- هذا هو ما نريده بالضبط . . أليس كذلك ؟!

وكان رد (بولانسكى) أكثر غرابة ؟!

- بلى . . انطلق وأرنا مهارتك فى القيادة . .

دفع (توربيدو) عصا السرعة إلى خانة الدفع الرباعى ، وهو يصيح فى جذل :

- سترى ما يبهرك كالعادة يا (بولانسكى) . .

أطلقت عجلات السيارة المزيد من الصرير المزعج ، فيما صرخ محرك دراجة (عمر) النارية وهو ينطلق بها وسط السيارات التى كادت تصدم بعضها وسائقوها يرون فى مواجهتهم مجنونًا على دراجة ، منطلقًا بأقصى سرعة وفى عكس اتجاه السير فى الشارع . .

اختفت السيارة فى منعطف إلى اليمين ، فانطلق (عمر) بسرعة الدراجة القصوى ، نحو نقطة الانعطاف ، صاعدًا بالدراجة فى حركة مفاجئة فوق رصيف المشاة ، لتتعالى الصرخات ويهرول الماشون هنا وهناك بعيدًا عن مسار الدراجة وراكبها المجنون ، الذى يظن نفسه بطلاً فى لعبة مثل (جنون منتصف المدينة) . .

بلغ (عمر) النقطة فى ثوان ، وانعطف إلى اليمين سائرًا فى الشارع الخالى نحو قلب الميدان حيث لاحت السيارة سائرة عند جانبه الآخر ، استعدادًا لولوج أحد الشوارع الجانبية المتفرعة منه . .

ولم يكن أمامه الكثير من الخيارات . .

انطلق (عمر) بالدراجة قاطعًا الميدان من منتصفه ، ليطير الحمام المسالم الواقف على الأرض فى سرب واحد ، ولتتعالى الصيحات الفَزِعة من جديد ، فيبتعد الجميع عن مسار هذه المطاردة التى تليق بفيلم من أفلام الحركة . .

اتسعت عينا (عمر) عندما رأى أمامه فجأة امرأة تدفع عربة ينام بها طفل رضيع ، وتقف عاجزة عن التحرك مصدرة صرخة رعب حقيقى وراحتاها فوق وجنتيها . .

الارتطام بها وبالطفل بات قدرًا محتومًا ، لكن (عمر) فى جلسته على الدراجة المنطلقة قرر أن يتصرف بطريقة أخرى . .

ثنى (عمر) جسده فوق الدراجة ، وبحركة ماهرة رفع مقدمتها محتملاً بثقله على مؤخرتها ، وأمام أعين الجميع المبهورة طارت الدراجة وفوقها (عمر) . . !

مشهد يليق بفيلم (إى تى) على خلفية البدر الكبير ، لكنه فى الواقع هذه المرة . .

سيروى الجميع عن هذا المشهد لفترة طويلة ، كيف أن هذا الفتى المجنون على دراجته المنطلقة بسرعتها

القصوى قد طار فوق عربة الطفل النائم ، ودار بالدراجة بالهواء دورة كاملة قبل أن يحط بها على الأرض ويواصل طريقة فى مهارة وثبات . .

سيروون عن هذا فيما بعد بالطبع . . !

بلغ (عمر) بداية الشارع الذى سارت (الجراند شيروكى) حتى منتصفه ، وأخذ يناور بين السيارات مجددًا عله يبلغها مستغلاً خفة حركته على الدراجة فى مقابل صعوبة حركتها كسيارة دفع رباعى ضخمة ، غير أن السيارة عادت تنعطف فى شارع جانبى ، فسارع هو بالانعطاف خلفها فى هذا الشارع الخاوى من السيارات تقريبًا . .

ـ ماذا تفعل يا (بولانسكى) ؟!

تساءل (توربيدو) وهو يتابع اقتراب الدراجة النارية من مرآة المنتصف ، فقال (بولانسكى) وهو يعد مسدسه لإطلاق الرصاص :

انتهى الشارع إلى ساحة واسعة تفضى إلى طريق سريع لا تسير عليه سيارات كثيرة ، وتقلصت المسافة بين دراجة (عمر) النارية وبين (الجراند شيروكى) الهاربة . .

ـ . . لن تفلتوا منى أيها الـ . . .

قاطع غمغمته المتوعدة صوت (دينا) فى أذنه يهتف :

ـ (عمر) ، لقد نجحت فى اختراق الجهاز . .

سألها وهو يقترب أكثر وأكثر من هدفه على الطريق السريع الممتد إلى ما لا نهاية :

ـ وماذا وجدت ؟!

هتفت :

ـ لن تصدق . .

قال وهو يقترب أكثر وأكثر من هدفه على الطريق السريع الممتد إلى ما لا نهاية :

ـ أنا على استعداد لتصديق أى شىء . .

قالت :

ـ لم أجد إلا برنامجًا لتشغيل حافظة شاشة على هيئة رقم (١٧) داخل دائرة تتكرر باستمرار !

سألها :

ـ فقط ؟!

أجابته فى يقين :

ـ اقترب إلى حد التماس من (الجراند شيروكى)

ـ التى لانت سرعتها قليلاً ـ فيما استطردت (دينا) وصوتها يشوبه التشويش مع ابتعاده المطرد عن مركز العاصمة :

ـ . . لقد بحثت ولم أجد ملفًا واحدًا على القرص الصلب بخلاف ملفات تشغيل النظام ، لا توجد برامج من أى نوع ، لا وثائق من أى امتداد ، كأن الجهاز مازال جديدًا ، أو كأن صاحبه اشتراه من أجل تشغيل برنامج حافظة الشاشة هذا فقط . . !

غمغم (عمر) :

ـ هذا مريب . .

أومأت برأسها رغم تشوش الصوت قائلة فى تأييد :

ـ أتفق معك تمامًا . .

كان (عمر) يعنى بعبارته ما يراه أمامه ، فالسيارة التى يطاردها اتخذت فجأة مسارًا فى طريق جانبى متفرع من الطريق السريع الواسع ، مخففة سرعتها إلى حد رهيب ، ومتجهة نحو بقعة واسعة من الأرض غير الممهدة على جانب الطريق . .

ـ أحاول إضفاء بعض الإثارة على المطاردة يا صديقى . .

فى اللحظة التالية رأى (عمر) زجاج السيارة الجانبى العاكس يهبط فى سرعة ، وشاهد (بولانسكى) يخرج ذراعه بمسدس ضخم مصوب نحوه ، ثم ..

بوم .. بوم ..

طلقتان لم تصيبا الهدف لحسن الحظ ، وهكذا أخذت المطاردة مسارًا آخر ..

مسارًا مفعمًا بالخطر الحقيقى ..

خطر الموت فى تبادل لإطلاق الرصاص ..

وهكذا استل (عمر) مسدسه من ملابسه ، وصوبه بدوره نحو السيارة التى تقع على مرمى بصره بحيث لا يمكن إخطاء الهدف ، ثم ..

بوم .. بوم ..

طلقتان أصابتا الهدف بدقة ، لكنهما لم توقعًا ضررًا يذكر .. !

الرصاصة الأولى ارتدت عن زجاج السيارة ..

ـ تبًا ، إنها سيارة مصفحة إذن ..

غمغم بها (عمر) وهو يطلق الرصاصة الثانية التى غاصت فى قلب الإطار الخلفى دون أن ينفجر ..

ـ .. والإطار مصنوع من الكاوتشوك المصبوب فى سمكه بالكامل ..

غمغم بها (عمر) أيضًا قبل أن يجمل دهشته فى سؤال :

ـ .. أى نوع من المطاردين هؤلاء ؟!

تصاعدت القهقهة فى (الجراند شيروكى) ممتزجة برنين هاتف محمول ، قهقهة (توربيدو) ، بينما يرفع (بولانسكى) زجاجه الجانبى مجددًا ويخرج هاتفه المحمول من ثيابه فى نفس الوقت ..

ـ المسكين ، كان يظننا لقمة سائغة ..

ضغط (بولانسكى) زر قبول المكالمة على الفور ، وأخذ يتحدث فى تركيز :

ـ أجل يا سيدى .. حسنًا .. سنذهب إلى هناك على الفور ..

وأغلق المحمول بعد هذه العبارات المقتضبة ، مائلاً نحو (توربيدو) ليقول :

ـ .. إلى المنطقة (ب) يا صديقى ..

ضغط (توربيدو) دواسة الوقود حتى لامست أرضية السيارة ، وزمجر المحرك القوى مع قهقهته مرة أخرى وهو يهتف :

ـ هذا رائع ، هكذا يكون اللعب وإلا فلا .. !

استمر (عمر) فى السير خلفها ، حتى توقفت تماماً . .

توقف (عمر) خلفها بعدة أمتار ، وقبض على المسدس فى يده بقوة مستشعراً دنو الخطر الذى لا يدرى كنهه على وجه التحديد . .

لكنه قادم . .

يستطيع أن يقسم على هذا . .

انفتح بابا السيارة أخيراً ، وترجل هو عن الدراجة مصوباً مسدسه نحو الرجلين اللذين هبطا منها على التوالى ، الرشيق والبدين اللذان أشعلا له سيجارة وهمية منذ قليل . .

نظرا إليه وهما يبتسمان فى لا مبالاة ، فاستشعر دنو الخطر أكثر . .

ولم تمض ثانية أخرى حتى كان إثبات صدق شعوره جاهزاً . .

لقد انشقت الأرض عن قافلة من السيارات التى يطل منها رجال يصوبون نحو (عمر) أسلحتهم الرهيبة ، مسدسات ومدافع رشاشة مزودة بمصوبات ليزرية حمراء ، وانشقت السماء عن مروحيتان ، يجلس عند

باب كل منهما قناص يصوب مدفعه ، المزود بشعاع ليزر أحمر إلى (عمر) فى ثبات . .

تجمعت النقاط الحمراء فوق جسد (عمر) الذى وقف للحظة فى ذهول مما يجرى . .

كانت السيارات تقترب من جهة الطريق السريع وتنتشر فى دائرة واسعة حول (الجراند شيروكى) ، فيما يشبه الحصار المحكم ، والطائرتان تقتربان من الجهة المقابلة فى اطراد ، فيما يشبه الغطاء الجوى . .

كأنها الحرب . .

والدولة الهدف هى (عمر زهران) . .

اقترب (بولانسكى) منه هاتفاً بإنجليزيته الركيكة نوعاً :

ـ ألق سلاحك من فضلك . .

نظر إليه (عمر) هاتفاً فى سخرية :

ـ كل هذا من أجلى أنا ؟!

عاد (بولانسكى) يهتف :

ـ ألق سلاحك حتى لا نضطر لإيذائك . .

كان قرار (عمر) حكيماً ، فألقى بسلاحه فى تسليم ، ومن بين التشويش الرهيب فى أذنه سمع (دينا) تهتف :

ـ (عمر) . . ماذا يحدث عندك الآن ؟!

لم يجبها ، وإن هتف بمحدثه بصوت عال :

ـ والآن ؟!

توقفت السيارات فى دائرة الحصار الخانق ، وهبط منها الرجال بأسلحتهم مقتربين من المركز الذى يقف فيه (عمر) فى مواجهة الرشيق الهاتف :

ـ الآن تقبل عذرنا . .

أحاط الرجال بـ (عمر زهران) كمشنقة حول عنق ، ومد أحدهم سلاحه لينهال به على رأس (عمر) فى ضربة قوية سقط على إثرها أرضًا بلا حراك . .

ـ . . احملوه . .

حمله رجلان ، ودنا (بولانسكى) منه ليسحب السماعة من أذنه بعد أن فقد الوعى ، وليسمع من خلال التشويش هتاف (دينا) المتواصل :

ـ (عمر) . . أجبنى من فضلك إن كنت تسمع . .

حطم (بولانسكى السماعة بقبضته ، وألقاها على الأرض غير الممهدة قبل أن يشير بيده نحو جهة العاصمة هاتفًا على الفور :

ـ الآن يا رجال ، علينا إحضار الفتاة . . !

☆ ☆ ☆

٧ـ عرض لا يمكن رفضه ..

ارتسمت صورة العميد (منصور حرب) الرقمية المهتزة قليلاً ، على شاشة الحاسوب النقال الخاص بـ (دينا) فى غرفتها بالفندق ، وقد وشت ملامحه بالقلق البالغ إذ يسأل :

ـ وماذا حدث بعدها ؟!

كان القلق يأكل ملامح ونبرات (دينا) بدورها ، التى تحدثت إليه قائلة :

ـ انقطع الاتصال بيننا تمامًا ، عميد (حرب) . .

قال العميد (حرب) بعد هنيهة من الصمت :

ـ معنى هذا أن (عمر) قد وقع فى أيدى أناس نجهل هويتهم . .

أمنت على قوله :

ـ بالضبط . .

وعادت تروى نفس ما روته قبل قليل ، والتوتر يتمدد فى أعماقها ويتمدد :

ـ . . آخر ما سمعته ـ وسط التشويش الذى يشير إلى ابتعاده عن الفندق بمسافة تزيد على العشرين

كيلومترًا ـ كان آهة مكتومة ، وصوت يأمر بحمله ، ثم بلغ التشويش حدًا رهيبًا قبل أن ينقطع الاتصال كأن هناك من حطم السماعة والمذياع معًا . .

صمت العميد (حرب) هنيهة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ إنها ورطة حقيقية بالفعل . .

بلعت ريقها فى صعوبة قبل أن تسأله :

ـ ماذا أفعل الآن ؟!

قال لها فى محاولة عابثة لبث الطمأنينة فى نفسها :

ـ سوف أحدث أحد عملائنا فى (بوخارست) الآن لكى يأتى إليك على الفور فيصحبك إلى إحدى النقاط الآمنة ، حتى نرى ما نفعله فى شأن (عمر) . .

قالت وقلبها يستشعر الخطر دانيًا بشدة :

ـ المشكلة هى : هل يكفى الوقت لهذا ؟!

سألها عاقدًا حاجبيه :

ـ ماذا تعنين ؟!

وبطريقة عملية ـ لحظتها ـ عرف ما تعنيه . .

لقد كان الخطر دانيًا بالفعل ، إلى درجة لم يبلغها خيال أحد . .

فجأة انفتح باب غرفتها بقوة دفع رهيبة ، فصرخت بحركة لا إرادية ، وتراجعت للخلف ، وإلى الداخل تدفق سيل من الرجال الذين يحملون أسلحتهم . .

تكالبوا عليها . .

صرخت فكتم أحدهم صرختها بيده . .

حاولت أن تقاوم لكن رجلاً قويًا حملها تحت ذراعه القوية . .

عبر الممر ، فى المصعد فى قاعة الاستقبال فى الفندق ، إلى الخارج ، وسط ذهول المراقبين والمتطلعين وتقاعس من بيدهم الأمر . .

فى الخارج وضعوها فى سيارة وأغلقوا الباب عليها . .

المروحيتان تهدران فى قلب السماء كأنها الحرب . .

والدولة الهدف هذه المرة هى (دينا واصف) . .

سارت قافلة السيارات مبتعدة عن الفندق ، تتبعها فى نفس الطريق المروحيتان ، واختفى الجميع فى الأفق البعيد . .

وفى غرفتها بالفندق ، تلك التى اختطفت منها تحت أعين الجميع ، كان حاسوبها النقال لا يزال مفتوحًا . .

لكن . .

دون صورة لأى شخص عليه . .

أى شخص على الإطلاق . . !

☆ ☆ ☆

أفاق (عمر) على ضوء رهيب أعشى عينيه اللتين انفتحتا بالكاد . .

الضباب الذى يلف أعصابه جعله يفقد اتزانه لحيظات قبل أن يعى ما حوله دفعة واحدة ، كأن تياراً من الهواء قد هب على وجهه فجأة . .

آخر ما يذكره هو الحصار ، الضربة على الرأس ، ثم السقوط ، ثم . .

الظلام الدامس . .

أين هو الآن ؟!

تلفت حوله بعيداً عن الضوء المسلّط على وجهه ، ليجد المكان غارقًا فى السواد إلا من بقعة الضوء القوية المتوهجة أمامه . .

يحتاج إلى مزيد من التركيز وانقشاع الضباب حتى . .

ـ لقد أفاق المصرى الشجاع إذن . .

الصوت الصارم الذى لا تخطئه الأذن ، كل الخوف أن يكون الأمر أضغاث أحلام أو هلوسات فقدان وعى . .

ـ من ؟!

ندت عن (عمر) فى ضعف نسبى وحدقتاه تتسعان حتى تعتادا الضوء المبهر ، وخيل إليه للحظة أن الصوت ينبعث من شبح أسود ضخم ؛ خلف مصدر الضوء الذى لم يعد بهذه الشدة تدريجيًا :

ـ هل نسيتنى بهذه السرعة يا عزيزى (عمر) ؟! أم أنك تفضل اسم (جزفسكى)(*) ؟!

هتف (عمر) بكل قوته :

ـ من ؟!

تحول الضوء عن عينيه أخيرًا ليخفف من ألمهما ؛ حوّله الشبح الضخم الواقف خلف المصباح نحوه ، ليبدو وجهه فى وضوح مع الظلال المنعكسة عليه فى رهبة :

ـ لعلك تذكرنى هكذا . .

الوجه المربع الملىء بالتجاعيد والترهلات ،

(*) ننصح مرة أخرى بالرجوع إلى العدد السابق (عملية غضب المحيط) . .

الملابس الأنيقة إلى حد الافتعال ، والسوار الذهبى حول المعصم الأيسر يلمع رغم الظلام ، أما البسمة فتليق بمصاص دماء لم يتحول بعد . .

- (روى باور) ؟!

قالها (عمر) وقد استعادت نبرته صفاءها وذهنه بعضًا من حدته ، واكتشف أنه مقيد بقيود معدنية محكمة فى مقعد معدنى محكم . .

ولم يكن هذا كل شىء . .

- كنت أعرف أنك لم تنسنى بعد ، فلم يمض على لقائنا إلا أسابيع قليلة . .

قالها (باوَر) وهو يجلس مسلطًا مصدر الإنارة إلى أعلى ، بحيث تنتشر الإضاءة الشحيحة فى أنحاء المكان لتريح الأعين والأذهان ، ثم إنه جلس على مقعد وثير مقابل لمقعد (عمر) المعدنى متابعًا وهو يشير إلى أسفل :

- . . إن أنياب الفقيد (تريكس) مازال أثرها واضحًا فى قدميك كما أرى . .

تجاهل (عمر) قوله وأخذ ذهنه يصفو أكثر محاولاً استجلاء كنه المكان من حوله ، وقياس قوة موقف كل منهما :

- أنت وراء كل شىء منذ البداية إذن ، سيد (باور) . .

وضع (روى باور) ساقه الضخمة فوق ساقه الضخمة ، قائلاً فى خيلاء :

- لم يرق تفكيركم إلى افتراض هذا بالطبع . .

قال (عمر) ليدفعه إلى كشف أوراقه :

- بصراحة كان هذا أبعد ما يكون عن الحسبان . .

قال (بارو) وخيلائه يتعاظم :

- مع أنكم كنت تنتظرون ضربتى القادمة . .

قال (عمر) مواصلاً محاولته :

- لم نتصور أنها ستكون بهذا الشكل . .

المفاجأة . .

قالها (باور) وعيناه تلمعان ، ثم أكمل واللمعان يخبو شيئًا فشيئًا :

- . . نصف مكسبك في الحرب يكمن فى عامل المفاجأة يا عزيزى . .

ناور (عمر) :

- لقد كشفت شخصيتى الحقيقية إذن ، رغم أننى

كنت ـ طوال العملية الماضية ـ متخفيًا فى شخصية المخترق الذى يملك سرًا يهمك . .

مط (بارو) شفتيه قائلاً :

ـ إن عيونى منتشرة فى كل مكان وزمان ، وإن أردت الحصول على أية معلومة فاعلم أننى سأحصل عليها ولو كانت فى بطن الحوت . .

عاد (عمر) يناور :

ـ استدرجتنا أنت إلى فخك فى هذه المرة . .

نظر (باور) مليًا إلى شبح (عمر) الضبابى على ضوء المصباح الخافت الموجه لسقف الحجرة ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـ بطريقة مدروسة لا تشوبها نسبة خطأ . .

ثم أنشأ يستطرد :

ـ . . لقد اخترعت مسألة المعلومات التى عرضتها على إدارتك ، ليرسلوا لى بمندوب يتسلمها ، كان الافتراض الأكبر طبعًا لصالح ألا يكون هذا المندوب هو أنت يا عزيزى ، وصدق توقعى فأرسلوا مندوبًا تافهًا ، ومع هذا فقد استقبلته استقبالاً يليق بمن أتى من رائحة الأحباب كما تقولون فى عاميتكم المصرية . .

سأل (عمر) مقطبًا :

ـ أين هو الآن ؟!

تجاهل (روى باور) سؤاله وتابع كأنه يلقى بقطعة محفوظات :

ـ وبعد أن اختفى هذا المندوب بطريقة درامية ، كان لابد أن يرسلوا بأحد رجالهم الأكثر أهمية ، هنا تعالت نسبة الاحتمالات فى قدومك أنت ، ولو لم تأت هذه المرة لظل رجالكم يختفون حتى تظهر عزيزى . .

قال (عمر) وقد أجل سؤاله السابق قليلاً :

ـ إنه لمن دواعى فخرى أن أكون على هذا القدر من الأهمية بالنسبة لبعض الأوغاد . . !

تجاهل (روى باور) تعليقه وتابع كأنه يلقى ببقية قطعة المحفوظات :

ـ هنا بدأ اللعب الحقيقى ، حركة المتابعة منذ الهبوط فى المطار ، التى رددت عليها ببراعة أهنئك عليها أمام محطة الوقود ، ثم الجهاز الذى تركه رجالى مفتوحًا فى غرفة رجلكم التى سددت قيمة حجزها لمدة عشرة أيام مقدمًا ، والذى يشير إلي رقم (١٧) بطريقة

استعراضية فيها إشارة ضمنية إلى هدفى الذى هو أنت وإدارتك ، ثم جاءت ذروة الحدث التى تغير فيها مسار السيناريو المرسوم إلى شكل أكثر واقعية وإثارة . .

ـ . . كانت الخطة الموضوعة هى أن أحاصرك فى غرفتك داخل الفندق برجالى والمروحيتين ، لكن اكتشافك للمراقبة وسعيك خلف الرجلين فى طرقات (بوخارست) ثم الحصار على الطريق السريع ، كل هذا أعطى للفخ مذاقًا ألذ . . !

سأل (عمر) كابحًا جماح دهشته :

ـ كنت ستحاصرنى فى فندق وسط العاصمة ؟!

قال (باور) فى تهكم لا مبالى :

ـ العاصمة التى تتحدث عنها فى جيبى ، إننى أملك (بوخارست) لو جاز لى القول . . !

هز (عمر) رأسه وقد تبخرت دهشته :

ـ لهذا اخترتها إذن مسرحًا للأحداث . .

قال (باور) ملوحًا بسبابته السمينة :

ـ فى بلدان شرق (أوروبا) يجعل الضعف الأمنى المدن مقاطعات صالحة للامتلاك . . !

حاول (عمر) اختبار متانة قيوده أثناء سريان الحوار بينهما دون أن يلاحظه (باور) ، وقد نجح فى ذلك إلى حد ما لكنه وجدها قوية غير صالحة للعبث أو التفكير فى التخلص منها بالمجهود العضلى ، وحده .

ـ وإذن . . ها قد تحقق انتقامك وأصبحت أسيرك ، سيد (باور) . .

استرخى (باور) فى جلسته قائلاً فى تراخ :

ـ هذا ما يقره الواقع يا عزيزى المصرى . .

وأردف بعد هنيهة من التأمل :

ـ . . أنت ومندوبكم التافه وزميلتك الجميلة التى . .

قاطعه (عمر) مصعوقًا :

ـ من ؟! ماذا تقول ؟!

قال (باور) بمزيد من التراخى المقصود :

ـ اهدأ ، لقد أرسلت إليها من يحضرها من الفندق إلى هنا معززة مكرمة . .

سأل (عمر) فى وجل ، كأم تسأل عن مصير ابنها :

ـ هل معنى هذا أنها . . ؟!

ابتسم (روى باور) بسمة عريضة صفراء ،فبدا

شبيهًا بمصاص دم حقيقى وهو يقول :

ـ إنهـا معنا هاهنا ، فى غرفة مجاورة . . لا تقلق بشأنها يا عزيزى واقلق بشأن نفسك . . !

انعقد حاجبا (عمر) بشدة ، وهو يسأل لاهثًا كليث حبيس فى قفص :

ـ وهل لى أن أسأل أين نحن الآن ؟!

ـ من حقك أن تعرف . .

قالها (روى باور) ثم أتبع مفسرًا :

ـ . . هذا قصر من قصورى فى شرق (أوروبا) ، يطل على (البحر الميت) فى المنطقة الحدودية ما بين (رومانيا) و (بلغاريا) . .

عاد (عمر) يسأل لاهثًا ، ولهاثه يشتد وحاجباه يزدادان انعقادًا :

ـ وماذا تنوى أن تفعل بنا ؟!

لوح (باور) بسبابته قائلاً :

ـ السؤال الصحيح هو : ماذا تنوون أن تفعلوا أنتم بأنفسكم . .

ـ يبدو أنك تهوى الألغاز . .

ـ هذا صحيح نسبيًا وإن كنت لا أرى أننى أتفوه بلغز . .

ـ أوضح إذن . .

قالها (عمر) ثم ألقى بالسؤال الصريح :

ـ . . كيف تنوى الانتقام منى جراء ما فعلته بكلبك الأثير ؟!

بدا الأسى على وجه (روى باور) للحظة ، لكنه سرعان ما تجاوزه قائلاً فى جمود يليق بقوة شخصيته :

ـ لحسن حظك أننى لست إنسانًا عاطفيًا أنساق وراء أهوائى وعواطفى ، صحيح أن (تريكس) كان يمثل كائنًا مهمًا بالنسبة لى ، لكننى تعودت أن أتجاوز هذه الصغائر ، ولولا قدرتى على دهس مشاعرى بحذائى لما أصبحت من بليونيرات العالم المعدودين كما تعلم . . ثم إنه تنهد وشخص بعينيه بعيدًا قبل أن يتابع :

ـ . . كم من أناس فقدت فى رحلتى إلى عرش البلايين ، وكم من قلوب دهستها بحذائى ، وكم من دموع سبحت فيها حتى الغرق . . !

سأله (عمر) مستغربًا :

ـ وما معنى هذا ؟!

اعتدل (باور) من جلسته المسترخية ليقول فى لهجة تقريرية لا تحمل أكثر من معنى :

ـ معناه ببساطة أنك أمام أحد خيارين لا ثالث لهما ولا نقصان لأيهما . .

سأل (عمر) واستغرابه يتزايد :

ـ الأول ؟!

قال (باور) على الفور :

ـ أن تعمل لصالحى . .

بهت (عمر) لقوله ، فى حين انتهزها (باور) ـ من وجهة نظره ـ فرصة للهجوم :

ـ . . إننى أجيد انتقاء رجالى من حولى ، وما دمت استطعت خداعى فأنت كفء لأضع فيك ثقتى وأحملك مسئولية إدارة أعمالى اللانهائية ، براتب شهرى خيالى لا تحلم بكسبه على مدى حياتك الكاملة . .

جاهد (عمر) لكبت ذهوله مما يسمع وهو يقول :

ـ وإذا رفضت ؟!

قال (باور) فى رباطة جأش ثابتة الجذور :

ـ لا أخالك بهذا الغباء لترفض ، أو لكى تعجز عن توقع البديل . .

تردد (عمر) هنيهة قبل أن يتفوه بها :

ـ الموت ؟!

استل (باور) مسدساً ضخماً من جيب معطفه ، وصوبه نحو رأس (عمر) مباشرة ، وهو يقول موضحاً الصورة إلى أقصى مدى :

ـ الموت الفورى برصاصة فى منتصف الجبهة تماماً . . لن ألقيك فى حوض من أسماك (الباراكودا) ولن أتركك فى غرفة مليئة بالغازات السامة حتى تختنق ، إننى لا أحب القتل بطرق استعراضية كما يحدث فى أفلام وروايات الإثارة ، وإن كنت أحبها فى تصميم أفخاخى كما حدث فى الحاسوب النقال الذى لا يحوى إلا حافظة شاشة الرقم (١٧) مثلاً . . !

غمغم (عمر) وقد تبخر ذهوله أخيراً :

ـ هكذا إذن . .

لوح (باور) بمسدسه قائلاً :

ـ الخيار لك فى البداية وفى النهاية . .

نظر إليه (عمر) ملياً :

ـ لا يوجد من يختار الموت على الحياة . .

استمر (باور) يلوح بمسدسه :

ـ الحكمة تفرض هذا . .

ضيق (عمر) عينيه محاولا سبر أغوار الرجل :

ـ ماذا لو اخترت العمل معك ؟!

هز (باور) كتفيه فى بساطة :

ـ تكون قد اشتريت ما تبقى من عمرك بثمن لا بأس به أبدًا . .

ضيق (عمر) عينيه أكثر :

ـ لا أحب افتراض الغباء فيمن أمامى لكنى لا أقوى على مقاومة السؤال . .

أطلت البساطة فى أنقى صورها من عينى (باور) :

ـ أعرفه ، سوف تسألنى عن الولاء . .

ـ بالضبط . .

قالها (عمر) ثم ألقى بالسؤال الصريح :

ـ . . ما الذى يضمن لك ولائى ؟!

عاد (باور) يهز كتفيه :

ـ حدد اختيارك وسترى أننى لا أحب لعب الهواة ، وأن الاحتراف هو اسمى الأوسط . .

قال (عمر) فى صدق ملموس :

ـ أنت تثير حيرتى . .

وقال (باور) فى ضجر محسوس :

ـ وأنت تضيع وقتى . .

ـ إذن . .

وصمت (عبر) لحظة قبل أن يكمل :

ـ . . لا بأس فى أن أعمل معك . .

برقت عينا (باور) مما أثار الوجل فى أعماق (عمر) الملتهبة بالأسئلة :

ـ هذا اختيار حكيم للغاية أيها المصرى . .

وصفق (روى باور) فأضاءت القاعة كلها بضوء النيون الأبيض الناصع المريح ، فرأى (عمر) كل ما حوله . .

القاعة واسعة مدهونة باللون الرمادى على السقف والحوائط ، لا تحوى إلا مقعده المعدنى وقيوده ، ومقعد (روى باور) الوثير أمامه ، وبينهما المصباح القوى الذى لا يزال مصوبًا إلى الأعلى . .

وفى الضوء ، برقت عينا (باور) أكثر وهو يردف فى حماسة :

ـ . . وبالنسبة للولاء ، فستعلم فى الحال كيف يتسنى لمثلى أن يضمن ولاء شخص من عينتك ، يؤمن بالمبادئ والوطنية والانتماء إلى آخر هذه المصطلحات الطنانة الراسخة فى عقله منذ كان طفلاً . .

جعل قوله قلب (عمر) ينتفض بين ضلوعه . .

والأسئلة تجرى فى مقلتيه كنبع بلا مريدين . .

أو كنهر بلا مصب . .

☆ ☆ ☆

٨ ـ عرض مرفوض ..

قال العميد (منصور حرب) فى مواجهة مدير المكتب ، اللواء (عفت حفنى) :

ـ كل ما أستطيع قوله يا سيادة اللواء ، أن المشهد كان مريعًا بحق . .

قال اللواء (عفت) من خلف مكتبه ، فى هدوئه المعهود كرجل مهام خاصة محنك :

ـ يجب أن نتصرف بسرعة . .

قال العميد (حرب) :

ـ فى نقص المعلومات يغدو التصرف نوعًا من التخبط يا سيدى . .

سأله اللواء (حفنى) موجهًا إليه نظرة خاصة :

ـ هل تقترح إذن أن نقف مكتوفى الأيدى ، عميد (حرب) ؟!

تنهد العميد (حرب) :

ـ بل أن ننتظر . .

ـ لا أخالفك الرأى ، لكن يمكننا ونحن ننتظر أن نكون أكثر إيجابية . .

ـ كيف ؟!

ـ بلغ عملاءنا فى (بوخارست) أن يبدءوا فى جمع المعلومات الممكنة عن الاختفاء ، عن مراكز القوى فى (رومانيا) وشرق (أوروبا) عمومًا ، بالذات من مصادر كالشرطة والجيش وأصحاب النفوذ . .

ـ فعلنا هذا بالفعل . .

ـ فى نفس الوقت يجب أن نعمل هنا بأقصى طاقاتنا فى تحليل المعلومات المتوفرة وافتراض الخصوم الممكن أن يكونوا وراء حادثى الاختفاء والخطف اللذين أشعر بأنهما مدبرين من البداية ، كأنهم استدرجونا إلى الذهاب إلى هناك . .

ـ هذا أيضًا فعلناه يا سيدى ، ولدى نتائج بعضها مفزع . .

ـ ألا وهى ؟!

ـ على رأس القائمة يأتى بطل مهمة (عمر) السابقة . .

ـ من ؟!

ـ (روى باور) . . !

ـ هذه نتيجة جيدة يمكن السعى خلفها . .

ـ نحن نسعى خلفها بالفعل ، لكن لا يمكننا أن نتحرك دون توفر ما يكفى من المعلومات كما أسلفت القول يا سيدى . .

ـ علينا السعى وليس علينا إدراك النجاح ، عميد (حرب) . .

ـ صحيح يا سيدى . .

وتوقف العميد (حرب) هنيهة قبل أن يضيف :

ـ . . المهم أن ننجح فى السعى قبل أن يفوت الوقت المناسب . . !

وانتهى حوار الكلمات ليبدأ على إثره حوار من نوع آخر . .

حوار النظرات العميقة . .

المنتظرة . .

☆ ☆ ☆

فى قاعة من قاعات القصر ، صب (بولانسكى) لنفسه كأسًا من البراندى ، فيما أخذ (توربيدو) الجالس أمامه على المنضدة يلتهم طبقًا من المقرمشات . .

ـ لذيذة . . خذ قليلاً يا (بولانسكى) . .

قالها (توربيدو) مادًا يده بالطبق إلى رفيقه الذى أشاح عنه جارعًا الكأس دفعة واحدة ، ثم هوى بالكأس على المنضدة قبل أن يزمجر قائلاً :

ـ خطأ . . هذا خطأ قاتل . .

توقف (توربيدو) عن الالتهام والمضغ ، ناظرًا نحو (بولانسكى) فى غباء ، قبل أن يسأل بنفس الغباء الذى فى نظراته :

ـ عم تتحدث يا عزيزى ؟!

نظر (بولانسكى) إليه بعينين محتقنتين ، قبل أن يقول لاهثًا :

ـ من الخطر إبقاء خصمك على قيد الحياة . . من الخطر أن تفعل هذا مهما كان عذرك ومهما كنت قويًا . .

وعاد يلهث قبل أن يستطرد :

ـ . . علمتنى حياة الأوغاد هذا ، ليس من الحكمة أبدًا أن يظل المصرى هذا على قيد الحياة حتى الآن . .

ثم إنه استل مسدسه من ملابسه مصوبًا إياه نحو رأس (توربيدو) مباشرة :

ـ . . لا يحتاج لأكثر من رصاصة واحدة . . واحدة فقط . .

وجم (توربيدو) وهو يحدق فى (بولانسكى) ذاهلاً ، ثم إنه ازدرد لعابه فى رعب قبل أن يقول مرتعدًا :

ـ (بولانسكى) ، أبعد هذا السلاح من فضلك . . أنت ثمل . .

قهقه (بولانسكى) فى عصبية ، وأخفض سلاحه قائلاً من بين قهقهاته :

ـ هل خفت منى حقًا يا عزيزى (توربيدو) . . يا لك من وغد طيب القلب . . !

هنا دوى رنين من جهاز مثبت فى أعلى باب القاعة . . رنين مميز للغاية ، جعل الاثنان ينظران نحو الباب قبل أن يلتفت (توربيدو) إلى رفيقه قائلاً فى لهجة مترددة :

ـ الزعيم يريدنا . .

قبض (بولانسكى) على مسدسه فى قوة قبل أن يغمغم ضاغطًا على أسنانه :

ـ ربما يريد فعل الشىء الصحيح . .

ثم إنه أردف وهو يقف :

ـ . . أخيرًا . . !

ثم إنهما اتجها نحو الباب ، و(توربيدو) صامت ينظر إلى (بولانسكى) نظرة ذهول ، سائلاً نفسه عن سر غضبه الدفين . .

ثم إنه هز كتفيه وسار فى صمت بلا تفكير . . !

☆ ☆ ☆

إلى قاعة أخرى مضاءة بالنيون الأبيض ، دلف (روى باور) أولاً ، تلاه (عمر زهران) فى قيوده المعدنية ، وخلف ظهره فوهة مسدس سددها إليه (بولانسكى) ، ومن خلفهما وقف (توربيدو) أمام باب القاعة ، كأنه يحرسها من الداخل . .

القاعة الأخرى كانت أكثر اتساعًا وأكثر إضاءة من القاعة التي كان فيها ، ومن الممرات الشحيحة الضوء بين القاعات ، هكذا فكر (عمر) قبل أن تقع عينه عليها . .

(دينا واصف) . .

كانت مسجاة بعينين مغمضتين على سرير معدنى فى طرف القاعة ، يداها وقدماها مربوطتان إلى السرير بقطع من الجلد الأسود ، ويبدو أنها غائبة عن الوعى تمامًا . .

كانت تبدو كملاك نائم ، هكذا فكر (عمر) مغالبًا قلقه عليها ، إنها بخير وتتنفس بانتظام وهذا يكفى جزئيًا ، لكنه يغالب فى أعماقه قلقًا غامض المصدر عليها . .

بجوارها على سرير معدنى آخر يرقد الرجل ذو الملامح التى رآها بالأمس ثلاثية الأبعاد تدور حول محورها فى مكتب العميد (منصور حرب) إنه (سليم كنعان) بكل تأكيد ، وهو مغلق عينيه وفاقد للوعى بدوره ، وإن كان العرق يغمر وجهه وينتفض بين الحين والآخر مما يشى بأنه ليس على ما يرام تمامًا . .

ـ إن كل شىء يبدو على ما يرام كما أرى ، دكتور (رومانو) . .

قالها (روى باور) فى نشوة وهو يشخص ببصره إلى الطرف الآخر من القاعة ، حيث رأى (عمر) رجلاً أصلع أشيب اللحية يرتدى معطفًا أبيض اللون ، ويبدو على ملامحه الشرق أوروبية الوقار والإجلال . .

ـ كل شىء على ما يرام حتى الآن ، سيد (باور) . .

قالها الشائب ـ دكتور (رومانو) ـ بإنجليزية ذات اللكنة وهو يكاد ينحنى لمحدثه ، فى حين تركته عينا

(عمر) لتنظران إلى المقعد العجيب الذى يقف بجواره . .

مقعد أشبه بمقاعد الفحص والعلاج فى عيادات الأسنان ، جلدى وثير ومائل للخلف بشدة بحيث يمنح الجالس عليه أقصى راحة ممكنة ، ويمنح الواقف بجواره فرصة التحكم الكامل فى وجه الجالس ورأسه عمومًا ، لكن هذا المقعد الذى يراه موصل بأسلاك كثيرة تنتهى فى صندوق كهرباء مثبت فى الجدار ، وبه أزرار تحكم لا حصر لها ، وهناك خوذة مليئة بالأسلاك بدورها معلقة على مسنده ، مما يعطى هيئته الكلية مسحة غير بريئة على الإطلاق . .

التفت (روى باور) إلى (عمر زهران) قائلاً :

ـ دعنى أقدم لك يا عزيزى المصرى الشجاع صديقى الدكتور (رومانو) . .

قال (عمر) فى برود :

ـ تشرفنا . .

ـ دكتور (رومانو) . . هذا زبونك الجديد . .

أحنى الرجل رأسه لـ (عمر) فضيق (عمر) عينيه فى محاولة لفهم الأمر ، غير أن (باور) قد هتف فى حماس لم يخرجه عن سمته الرصين قاطعًا أفكاره ،

وهو يشير إلى (سليم كنعان) الراقد متشنجًا فى الطرف الآخر من القاعة :

ـ الدكتور (رومانو) هو الساحر الذى سوف يحررك من قيود الماضى فى يديك وداخل عقلك ، كما فعل مع صديقك هناك . .

ثم إلى (دينا واصف) المستكينة :

ـ . . وصديقتك هذه . . !

نظر (عمر) إلى (دينا) و (سليم كنعان) ، متسائلاً ، بينما صدره يعلو ويهبط :

ـ وما الذى يفعله الدكتور (رومانو) بالضبط ؟!

أطرق الدكتور (رومانو) كما يفعل العلماء العباقرة الذين لا يجيدون التحدث عن أعمالهم ، بينما انطلق (روى باور) يتحدث كأنه يؤدى إعلانًا تلفزيونيًا فى قناة متخصصة :

ـ ينسف حمامك القديم . . يخلص عقلك من ماضيك الأليم . . يمنحك فرصة أخيرة نحو الانعتاق وتقرير المصير دون الاستناد إلى أية سوابق فى صحيفتك الجنائية . . !

ـ قطب (عمر) قائلاً فى ضيق :

ـ هلا تحدثت بالإنجليزية ، سيد (باور) . . !

كان (باور) يتحدث بالإنجليزية فعلاً ، لكنه تعبير أمريكى شهير بمعنى (قل كلامًا أفهمه من فضلك) . .

ـ انظر إلى هذا الجهاز . .

قالها (باور) وهو يربت بيديه على ظهر مقعد عيادات الأسنان ذى الأسلاك اللانهائية ، ثم أردف مفسرًا كأنه يواصل فقرته الإعلانية المستفزة :

ـ . . إنه صك الولاء الذى سوف تدين لى به عندما تجلس عليه ، فيأخذ منك ما يتعين أخذه ويبقى ما يتعين إبقاؤه حسبما نريد . .

تساءل (عمر) فى ضيق أشد ، وهو ينأى بعقله المنهك عن لعبة الاستنتاجات العقيمة :

ـ ما وظيفة هذا المقعد ، سيد (باور) دون مزيد من الغموض ؟!

أشار (باور) إلى الرجل الواقف في استكانة خاملة إلى جواره قائلاً :

ـ هو اختراع خاص وغير مسبوق للدكتور (رومانو) ، والدكتور (رومانو) ـ لو كنت لا تعرف ـ أحد أساطين الطب ، فى مجال الدراسات النفسية

والعصبية والهندسية الطبية وجراحات المخ والأعصاب وغيرها ، باختصار . . هذا الرجل علامة ، نابغة حقيقى وإن كانت هيئته لا توحى بذلك ، وقد جندته هنا فى قصرى على مدى شهور طويلة حتى يخرج لى تحفته الفنية الفريدة التى تراها هذه . .

وعاد (باور) يشير إلى المقعد ويتحسسه أثناء حديثه مستكملاً :

ـ . . هذا المقعد ساحر حقيقى كصانعه ، إذ إن له القدرة على محو الذكريات التى تختارها من مناطق وجودها فى المخ البشرى ، مهما كانت هذه الذكريات راسخة ومتجذرة ، باختصار يصنع هذا المقعد أناسًا جدد طبقًا للمواصفات القياسية التى تضعها لهم مسبقًا ، عملية أشبه بغسيل المخ لكنها لا تستغرق أكثر من عشر دقائق إن طالت المدة ، وذلك عبر السيطرة على سريان الموصلات الكهربية والكيمياوية فى مناطق معينة من المخ البشرى وبين نقاط الالتقاء العصبية فى أعصاب الجسم المختلفة بنسبة معينة ،ليتم التحكم فى تدفق هذه الموصلات عبر الدماغ والنخاع الشوكى والأعصاب الطرفية . .

لهث (عمر) انفعالا من غرابة الفكرة التى لم تكن لترد حتى فى أشنع كوابيسه ، وجاهد لكبت الرعب الذى استولى على جوانحه مشيرًا إلى الجسدين الممددين فى طرف القاعة وهو يسأل :

ـ هل وضعتهما على جهازك هذا ؟!

أشـــار (باور) إلى (سليم كنعـــان) الذى هدأت تشنجاته ولانت ملامحه قليلاً دون أن يفيق ، وكان جليًا أن (باور) يتلذذ حتى النخاع بكل كلمة يتفوه بها :

ـ مندوبكم أولاً ، وهو ـ عندما يفيق بعد قليل ـ سوف يكون صفحة بيضاء أمامى لأزرع فيه ما شئت من البيانات والمعتقدات ، هذه التشنجات التى تذوى الآن ليست إلا آثار جانبية بسيطة تحدث فى الأيام التالية للتجربة سرعان ما ستغيب تمامًا ، ليبقى فى حالة أشبه بالتنويم المغناطيسى الذى يدوم بضعة أيام أخرى ، يكون بعدها مؤهلاً لحياته الجديدة . .

أراد (عمر) أن يستيقن مشيرًا بعينيه إلى حيث ترقد (دينا) فى وداعة :

ـ وهى ؟! ماذا عنها ؟!

قال (باور) وهو يدنو من (عمر) فى خطوات تشبه الرقص الإيقاعى المنغوم :

ـ صفحة أخرى أنصع بياضًا ، لكنها لم تدخل مرحلة التشنجات بعد . . !

واقترب أكثر وأكثر :

ـ . . ليس أمتع من أن ترى عدوك الذى تود الانتقام منه مجرد عروس ماريونيت مسلوبة الإرادة تحركها كيفما تشاء . .

واقترب أكثر :

ـ . . ألست معى فى أن هذا هو أبشع انتقام ممكن ؟!

شرد (عمر) ، وغمغم كأنه انفصل عن العالم بغتة :

ـ نعم . . هذا بشع بالفعل . .

فرقع (باور) بإصبعيه لـ (بولانسكى) الواقف حاملاً المسدس ، فاقترب هذا الأخير من (عمر) الواقف فى استكانة ودفعه من ظهره فى غلظة نحو المقعد . .

هيا . . اجلس يا صاح . .

هتف بها (بولانسكى) ثم دفع سلاحه فى كتف (عمر) الذى لا يزال منفصل عما حوله كليًا ، ليُجلسه على

المقعد قسرًا ، فامتثل (عمر) فى هدوء دون أن يصدر عنه أى شىء ..

حتى التأوه لم يصدر عنه ..

حتى الغضب .. !

ـ عامل رجلنا الشجاع برفق يا (بولانسكى) ..

هتف بها (باور) فى اللحظة التى اقترب الدكتور (رومانو) منهم فى صمته الحيى ، وبدأ فى وضع الخوذة على رأس (عمر) المستسلم ، فى حين واصل الأول هاتفًا فى الواقف قرب باب القاعة :

ـ .. وأنت يا (توربيدو) ، ساعد (بولانسكى) فى السيطرة على رجلنا الشجاع حتى تتم المهمة ..

اقترب (توربيدو) من (بولانسكى) على الفور ، وبدآ يتعاونان فى توصيل الأقطاب بجسد (عمر) الساكن الذى لا يصدر عنه إلا صوت التنفس ، تبعًا لإرشادات الدكتور (رومانو) الذى يتحدث فى صوت واهن آت من غياهب بعيدة ..

وابتسم (باور) مراقبًا ما يجرى ..

ابتسم فى ظفر المنتقم الذى يحقق فيمن يريد الانتقام منه أبشع انتقام ممكن ..

ابتسامة أحالته إلى مصاص دماء لا يشبه البشر على الإطلاق ..

لكن صوت الارتطام صدر بغتة فتلاشت بسمته على الفور ، وأرسل بصره فى سرعة نحو المقعد حيث كان الرجلان يتمّان توصيل الأقطاب تقريبًا ، وكان الدكتور (رومانو) قد شرع فى ضبط ترددات الكهرباء بالفعل إلى جوار المقعد ..

وهاله ما يرى ..

لقد انفجر (عمر) كقنبلة فى وجوه من حوله ..

قنبلة من غضب مستعر ..

سدد لكمة بيديه المقيدتين فى وجه (بولانسكى) ، طار الأخير على إثرها أمتارًا للوراء حتى التصق بالحائط ، وسدد ركلة بقدمه اليمنى إلى وجه (توربيدو) المكتنز ، فرفعه من فوق الأرض بحجمه الضخم ، ثم هوى بلا حراك ..

استل (باور) مسدسه على الفور ، فى اللحظة التى وقف فيها (عمر) على المقعد نازعًا الأقطاب من على صدره العارى ، والخوذة من فوق رأسه ..

ـ توقف أيها المصرى الـ . . .

وماتت بقية العبارة الحانقة على شفتى (باور) ، فقد كانت الكفة تميل فى جهة الأسرع . .

و (عمر) كان الأسرع . .

لأنه كان الأكثر غضبًا . .

لقد ثنى ركبتيه إلى الأمام ، ثم قفز كالسهم مخترقًا الهواء نحو النقطة التى يقف فيها (روى باور) مصوبًا مسدسه نحوه ، وفوجىء (باور) أمام عينيه اللتين اتسعتا ، بـ (عمر) ينهال نحوه مصوبًا قدميه فى مركز صدره . .

ثم . .

كان الارتطام . .

اندفعت قدما (عمر) فى صدر (باور) الذى تعلوه طبقات الشحم ، فسقط الأخير تحت الأول ، وبقبضتيه الحديديتين انهال (عمر) بلكمة مزدوجة على رأس (باور) ، فأصدر بعدها خوارًا . .

ثم غاب عن الوعى . .

لهث (عمر) فى انفعال رهيب وقد تدفق (الأدرينالين) أنهارًا فى دمه ، عندما أزت بجوار أذنه رصاصة . .

قفز (عمر) مستديرًا ليرى (بولانسكى) الرشيق وقد صوب مسدسه نحوه من جهة سقوطه القريبة فأسرع في الاحتماء خلف المقعد الكبير ، بينما زمجر (بولانسكى) وهو يتحامل على آلامه ناهضًا :

ـ ليكن أيها المصرى اللعين ، كان رأيى أنك يجب أن تموت من البداية . .

واقترب من المقعد ، دون أن يرى ما يحدث خلفه . .

كان (عمر) محتميًا بالمقعد من الجهة التى سقط فيها (توربيدو) البدين ، الفاقد الوعى من جراء قوة الركلة والارتطام بالأرض ، وقد استل (عمر) المسدس الخاص به من بين ملابسه ، ثم صوبه من خلف المقعد بزاوية لم يرها (بولانسكى) المقترب فى اطراد حذر . .

حتى . .

بانج

طار المسدس من يد (بولانسكى) فجأة ، وأصابت الرصاصة التى أطلقها (عمر) يده التى غرقت فى الدم ، فأطلق صيحة ألم رهيب ، فى اللحظة نفسها التى ظهر فيها (عمر) من خلف المقعد مصوبًا المسدس إلى صدره مباشرة . .

ـ لا تتحرك . .

هتف بها (عمر) فى تحد ، فرفع (بولانسكى) يده فى غيظ وزمجر :

ـ ليكن ، أنت الفائز أيها المصرى الشجعاع كما يسميك الزعيم . .

قال (عمر) فى صرامة :

ـ الآن استدر فى بطء ، واجه الحائط . .

فوجىء به يبتسم فى دهاء قائلاً :

ـ ليس بهذه السرعة . .

قبل أن يسأله (عمر) ماذا يعنى ، فهم ماذا يعنى . .

لقد لمح ظلا مباغتًا من خلفه ، ظل (توربيدو) البدين ، لكنه قبل أن يلتفت مواجهًا إياه كان (توربيدو) قد انقض عليه كالإعصار ، وطوق خصره بيديه الثقيلتين مصدرًا صيحة قتالية يغالب بها ألمه فى الغالب . .

سقط المسدس من يد (عمر) الذى شعر بذراعى (توربيدو) تعتصرانه فى قوة لا قبل له بها ، ودنا منه (بولانسكى) من جهة الأمام متحدثًا فى مقت :

ـ . . الدخول من هنا ليس كالخروج من هنا أيها المصرى الشجعاع ، كما يسمّيك الزعيم . .

أطلق (عمر) صيحة ألم رهيبة ، و(توربيدو) يعتصره أكثر بين ذراعيه الفولاذيتين ، رافعًا إياه من فوق الأرض ليزيد من قوة ضغطه حتى الانفجار ، بينما انحنى (بولانسكى) ممسكًا بالمسدس الذى كان (عمر) يمسك به ـ مسدس (توربيدو) فى الأصل ـ وصوبه نحوه مباشرة ، متابعًا حديثه المفعم بالكراهية :

ـ . . كان رأيى أن تموت من البداية ، ودائمًا تثبت الأمور أننى على حق . .

أتم عبارته مصوبًا المسدس نحو جبهة (عمر) مباشرة ، ثم إنه هتف :

ـ . . مُتْ أيها الـ . . .

وأطلق الرصاصة ، فعقد الذهول لسانه عن إتمام العبارة الآمرة . .

لقد انحنى (عمر) بين ذراعى (توربيدو) فجأة ، أصبح رأس هذا الأخير هو هدف التصويب فى نفس لحظة ضغط الزناد . .

لحظة اللارجعة . .

وهكذا اخترقت الرصاصة منتصف رأس (توربيدو) من الأعلى تمامًا ، فجحظت عيناه ، وتركت ذراعاه (عمر) يهوى على الأرض . .

ثم هوى على الأرض بدوره إلى جواره . .

جثة هامدة . .

ـ . . (توربيدو) . .

غمغم بها (بولانسكى) فى ذهول وقد ارتخت قبضته القابضة على المسدس قليلاً ، وقرر (عمر) استغلال هذه الفرصة قبل أن تذهب . .

والفرصة التى تذهب لا تجىء . .

قفز (عمر) متناسيًا ألمه المبرح نحو (بولانسكى) وركل المسدس من يده ، وهنا تنبه الأخير إلى أن ميزان الأمور يتغير من جديد . .

إنه يواجه (عمر زهران) بيدين عاريتين ، وبغضب مستعر فى أعماق كل منهما . .

وهكذا انقض كل منهما على الآخر . .

واشتبك الخصمان . .

سدد (عمر) لكمة رهيبة إلى وجه (بولانسكى) ، وركل (بولانسكى) (عمر) فى معدته فتفجرت بالألم،

غير أن هذا الألم أيقظ ماردًا فى أعماق المصرى الشجاع ؛ كما يسميه (باور) الساقط فاقدًا وعيه . .

كال (عمر) عدة لكمات متتالية إلى وجه (بولانسكى) وصدره ومعدته ، تلون بعدها باللون الأحمر القانى وفاحت منه رائحة الدم . .

ثم هوى فاقدًا وعيه واثنتين من أسنانه . .

والكثير من غضبه . .

وهكذا حسمت المعركة أخيرًا ، ووقف (عمر) يلهث متحاملاً على نفسه ، يراقب ما آلت إليه الأمور من حوله . .

وعلى الفور ، ودون تفكير ، اتجه نحو (دينا) فى ركن القاعة . .

وقف إلى جوارها . .

أمسك بيدها دون أن يشعر . .

لمست أصابعه المرتشعة خصلات شعرها النافرة . .

ناداها بكل ما يمور فى صدره من لهيب مستعر :

ـ (دينا) . .

فانفتحت العينان الملونتان على الفور . .

الشرود يصول فيهما ويجول . .

والذهول عنوان كل شىء . .

نظرت إليه وهمست :

ـ من ؟!

ابتسم رغم الآلام الرهيبة غير المحتملة ، وقال :

ـ دعك من منظرى ، أنا (عـمـر) . . (عـمـر زهران) . .

ـ (عمر) ؟!

نطقت بها فى استغراب شديد ، قبل أن تنهض متحاملة على ذراعه ، ناظرة حولها يمنة ويسرة ثم متسائلة فى خواء :

ـ أين أنا ؟!

ثم توقفت بعينيها المسافرتين أمام عينيه المتلهفتين :

ـ . . ومن أنت ؟!

غالب (عمر) ألم روحه المعذبة ، وربت على كتفها قائلاً فى تهوين وشد أزر :

ـ لا تحافى ، نحن فى أمان الآن وسنغادر على الفور . .

كان يعرف أنه يكذب . .

مرتين . .

مرة فيما يقول ، ومرة فيما يحس . .

إنه يجهل كيف سيغادر هذا المكان ، بالتأكيد هناك الكثير من الحراس والسيارات والمروحيات والأسلحة ، حتى إن الخروج يبدو حلماً بعيد المنال . .

بالأحرى يبدو كابوساً بلا أمل . .

نظر (عمر) حوله باحثًا عن مخرج ، لكنه لم ير إلا فوضى الأجساد الممددة ، (توربيدو) الصريع و(بولانسكى) و (باور) الفاقدان وعيهما ، والمقعد الذى يقف بجواره الدكتور (رومانـ . . .

مهلاً . .

انفجرت الفكرة فى أعماقه كنبع من نور . .

ـ إنى أملك ورقة أخيرة ذات قوة لا يستهان بها . .

تمتم بها محدثًا نفسه وعيناه تتسعان من هول الفكرة . .

كان الدكتور (رومانو) واقفًا فى الجوار يراقب ما يجرى بعينين محمرتين من فرط الرعب ، عاجز عن الفعل أو التفوه بأى شىء . .

قالت (دينا) وهى تعتدل فى جلستها شاردة حتى عن نفسها :

ـ ما الذى يحدث ؟!

نظر (عمر) إليها وقد تفجرت ملامحه الذابلة بحماس ساحق :

ـ هل لديك من القوة ما يكفى لمساعدتى ؟!

نظرت إليه مستغربة ، إنها لم تتغلب بعد على استغرابها للمكان ، وعلى ذهنها الذى يشبه صفحة بيضاء من غير سوء :

ـ ماذا ؟!

أجابها مشيرًا إلى الأرض :

ـ فى حمل جسم ثقيل . . !

نظرت إليه وعيناها الملونتان تغرقهما علامات الاستفهام والتعجب ، فنهض متحاملاً على جسده المنهك وقال :

ـ . . لا عليك . .

ثم إنه تركها تنظر فيما حولها ، لتصافح عينيها مشهد الجسد الممدد فى سرير مجاور للذى تجلس عليه ، والذى يحمل الملامح التى نسيتها تمامًا كما نسيت كل شىء آخر . .

نظرت إلى (عمر) وهو يهرول إلى أقصى القاعة حيث سقط (باور) ، ونظر (عمر) فى ساعته فوجد أنها تقترب من التاسعة ، وساءل نفسه :

هل يعنى هذا التاسعة نهارًا أم مساءً ؟!

ـ . . من فضلك ، تعال ساعدنى يا دكتور (رومانو) . .

هتف بها (عمر) فى الرجل المتخشب إلى جوار مقعده ، وكأن الرجل كان ينتظر منبهًا للتحرك فهرع إليه على الفور دون أن ينطق بحرف واحد . .

ـ . . هيا ، ساعدنى فى حمل هذا . .

نظر (رومانو) إلى حيث يشير فى دهشة ، بينما تابع (عمر) مشيرًا إلى المقعد :

ـ . . ساعدنى فى حمله إلى هناك . .

تخشب (رومانو) فى وقفته ، فأمسك (عمر) بذراعه قائلاً :

ـ . . استمع إلى ما أقول يا دكتور (رومانو) ، وأعدك بأننا سنخرج من هنا سالمين إلى مكان تجد فيه الأمان التام ، وتواصل أبحاثك كيفما أحببت . .

كان للكلمات مفعول السحر ، فقد هز (رومانو) رأسه باسمًا وقد فهم ما يرمى إليه (عمر) . .

ثم انطلق يساعده بكل قوته . .

وفى أعماقه كان يشهد لهذا الفتى الذى يساعده بحسن التصرف . .

والعبقرية التى يستحقها بجدارة . .

فعلى المقعد وضعا معًا (روى باور) نفسه . . !

وبسرعة قام الدكتور (رومانو) ـ المتدثر فى صمته الأبدى ـ بوضع الخوذة فوق رأسه ، وبتوصيل الأقطاب إلى الأماكن المدروسة من جسده ، ثم ضبط الترددات الكهربية وفق النظام الذى ابتكره فى مهارة ويسر . .

كل هذا و (عمر) يقيد (بولانسكى) الذى لم يمت . .

و(دينا) تنظر من بعيد فى ذهول عن كل شىء . .

وتشنجات (سليم كنعان) تخفت . .

وتخفت . .

وفى النهاية وضع الدكتور (رومانو) قطعة من القماش فى فم (بارو) الذى لا يزال فاقدًا وعيه ، ونفض (عمر) كفيه عن (بولانسكى) ثم وقف ينظر . .

وبعدها ، تم توصيل الكهرباء . . وتشنج جسد (روى باور) . .

تشنج بقوة . .

وبعد دقائق خفت كل شىء . .

كل شىء . .

وبقى (روى باور) أسفل الخوذة مغمض العينين ، كأنه نائم نومًا عميقًا . .

ـ متى سيفيق ؟!

تساءل (عمر) فى قلق ناظرًا إلى الدكتور (رومانو) الذى نظر فى ساعته بحركة غير مقصوده ، ثم رفع سبابته مشيرًا وقائلاً :

ـ ساعة واحدة فقط . .

فهز (عمر) رأسه فى تنهيدة عميقة ، والتفت ناظرًا إلى (دينا) . .

وعندما التقت النظرات انشق قلبه نصفين . .

وبكى دمًا . .

☆ ☆ ☆

٩ ـ القـرار الصـعب ..

تحت سـمـاء الليل المظلمـة ، وعلى سطح القـصر المطـل على (البحـر الميت) فى منطقـة الحـدود بين (رومـانيـا) و(بلغـاريا) ، سـحب أحـد الحـراس الممسكين بالمدافع الآلية آخر أنفاس سيجارته ، قبل أن يلقيها إلى الأسفل فى ضجر ..

ـ حذار يا (شنكو) حتى لا تحرق المكان بما فيه ..

قالها زميله الذى يقف على مسافة مترين منه تقريبًا فى نفس وردية الحراسة مداعبًا ، فقال (شنكو) ماطًا شفتيه فى امتعاض :

ـ على الأقل هذا سيخلق جوًا مثيرًا بدلا من الملل الذى يقتلنا فى كل لحظة هاهنا يا عزيزى (روبرتو) ..

قال (روبوتو) باسمًا :

ـ هذا الملل سيبقينا أحياء على الأقل ..

ـ وكأن الحياة تهمنى إلى هذا الحد يا صاح .. !

غمغـم بها (شنكو) لنفسـه ، لكنهـا بلغت مسامع (روبرتو) الذى رد بقوله :

ـ لا تقلق ، مـا دمنا نحـرس رجلاً كـهـذا فالإثارة تلاحقنا إن عاجلاً أو آجلاً ..

هتف (شنكو) مشيحًا بيده ..

ـ شهور ونحن نقول هذا الكلام ..

قال (روبوتو) ضاحكًا :

ـ يا لك من متمرد ..

قال (شكنو) :

ـ ليس تمردًا ، لكن سـلاحى يتـوق لإطلاق بعض الرصاصات قبل أن يصدأ يا عزيزى .. هذا كل ما فى الأمر .. !

ـ كن واثقًا من أنه سيفعل ..

ما إن أتم (روبرتو) عبـارته الأخيرة حتى انفتح باب السطح فجأة ..

التفت الحراس نحـوه ، ليجدو ظل (روى باور) واضحًا من خلاله ..

ران الصمت ، بينما دلف (روى باور) إلى المكان فى خطوات بطيئة ، سائرًا نحو المروحيتين الرابضتين فى استكانة تحت أستار الظلام ، وخلفه يسير شاب حليق

يسند فتاة تسير فى شرود ، وخلفهما رجل أصلع وقور يسدد مسدسًا إلى ظهريهما . . !

ـ كم الساعة الآن ؟!

همس بها (شنكو) ، فنظر (روبرتو) فى ساعة معصمه قبل أن يبادله الهمس مجيبًا :

ـ تقترب حثيثًا من منتصف الليل . .

عاود (شنكو) النظر إلى الركب المتجه إلى المروحية هامسًا :

ـ ليس وقتًا لظهور الزعيم فى المعتاد . .

عاد (روبرتو) يبادله الهمس :

ـ هناك استثناءات دائمًا . .

دمدم (شنكو) ببعض العبارات غير اللائقة من أسفل أسنانه ، وعاد يتابع بعينيه المسيرة التى توقفت بجوار المروحية الأقرب ، وسمع همهمة ما تدور قبل أن يفتح الأصلع الذى فى يده المسدس باب المروحية ، ثم يصعد الواقفون تباعًا إليها . .

كانت متابعة الموقف بصريًا صعبة بالنسبة له ، خاصة أنهم كانوا يقفون فى الظل ، وأن الإضاءة التى

تنير المكان حول القصر ـ منعًا لأى تسللات ـ تضرب عينه مباشرة ، لكنه كان يستشعر شيئًا ما خاطئًا فيما يحدث . .

ـ هناك خطأ ما بالتأكيد . .

غمغم بها ، فأتته الإجابة فورية من رفيقه :

ـ دعنا نواصل عملنا ولا نتدخل فيما لا يعنينا يا عزيزى (شنكو) . .

حاول (شنكو) أن يمتثل لكلام زميله العقلانى ، لكن نحلة ظلت تطن فى رأسه . .

نحلة مزعجة ملحة . .

وفى داخل المروحية كان (عمر زهران) يتخذ مقعده أمام المقود ، ويبدأ فى تشغيل المحرك وبالفعل ، مغمغمًا بينه وبين نفسه :

ـ لندعو اللّه أن نصل فى سلام . .

بجواره جلس الدكتور (رومانو) ممسكًا بالمسدس الذى أفرغت خزانته من الرصاصات ، وفى الخلف جلس (روى باور) مستكينًا خائر القوى ، أمامه (دينا) الذاهلة عن كل ما حولها . .

ارتفعت المروحية . .

ارتفعت . .

ارتفعت . .

ثم انطلقت إلى وجهتها المحددة . .

وفى الأسفل تابعتها عينا (شنكو) المفعمتان بالشك والتساؤل ، وهى تشق سماء الليل ، محلقة نحو البعيد . .

البعيد . .

ـ أقسم بعمرى أن هناك شيئًا خاطئًا . .

همس بها لنفسه مجددًا ، قبل أن يناوله زميله سيجارة قائلاً :

ـ لا عليك ، إنها مجرد شكوك لا أساس لها من الصحة . . !

☆ ☆ ☆

فى قاعة صغيرة للمؤتمرات ، ملحقة بمبنى إدارة المهام الخاصة ـ المكتب (١٧) ، علت الهمهمات بين الحضور ، حتى قطعها دخول العميد (منصور حرب) حاملاً ملف أوراقه ، فران الصمت على الجميع كأن على رءوسهم الطير ، وسار الرجل متخذًا مكانه خلف المنصة ، ثم نظر إلى الجميع مرحبًا :

ـ مرحبًا بكم ، تعلمون قطعًا أن هذه الاجتماعات الموسعة لا تجرى إلا فى ظروف خاصة جدًا تستدعى أخذ أكثر من رأى ومشورة . .

هز عدد الجلوس الوقورين رءوسهم ، فتابع العميد (حرب) :

ـ . . لدينا اليوم وضع حرج يستدعى التصرف بإحدى الطرق غير المألوفة ، وذلك تحقيقًا للهدفين الأساسين من إنشاء إدارة المهام الخاصة ، الأول درء الخطر ، والثانى تحقيق أكبر مكسب ممكن فى أطر مرجعية أخلاقية مقبولة . .

عاد العميد (حرب) يجيب نظره فى الجميع قبل أن يستطرد :

ـ . . سأقص عليكم الوضع باختصار ، منذ بضعة أيام أرسلنا بعميل من عملائنا إلى (بوخارست) ليكون الوسيط بيننا وبين سمسار معلومات تم الاتفاق معه على أن نشترى منه معلومات تهمنا على قرص ضوئى ، اختفى هذا العميل فأرسلنا خلفه بعميل آخر ، واتضح أن مسألة البيع والشراء هذه لم تكن إلا فخًا لاستدراج عميلنا الذى أرسلناه بهدف الانتقام ، لكن هذا ليس كل شىء بالطبع . .

أضاءت الشاشة خلف كتف العميد (حرب) بصورة ثلاثية الأبعاد تدور حول محورها لـ . . !

ـ . . هذا كما يعلم بعضكم بالتأكيد (روى باور) ، امبراطور الاقتصاد العالمى وأحد ملوك التجارات المحرمة على مستوى العالم . .

ساد لغط بين الحضور ، تجاوزه العميد (حرب) بقوله :

ـ . . هذا الرجل يا سادة كان صاحب الفخ ، وقد استدرج عميلنا الأخير إلى قصر له يقع على الحدود بين (رومانيا) و(بلغاريا) ، وهناك اتضحت الصورة بكل أبعادها . .

أضاءت الشاشة بصورة أخرى لـ . . !

ـ . . أما هذا فربما يجهله الجميع ، الدكتور (رومانو ماركوس) الذى استماله (باور) للعمل تحت إمرته ، فطور جهازًا له القدرة على محو الذاكرة تمامًا ، وزرع ذاكرة جديدة فى مخ الشخص الواقع تحت التجربة . .

ساد اللغط مجددًا ، وعاد العميد (حرب) يتجاوزه مستطردًا :

ـ . . الواقع أن نتائج المهمة كانت أن عميلنا الأول قد وقع تحت رحمة جهاز الدكتور (رومانو) ، وكاد عميلنا الثانى يقع تحت طائلة نفس التجربة ، لكن النتائج انقلبت فى اللحظات الأخيرة ، بما سيدهش الكثيرين ـ وأنا أول المندهشين ـ حتمًا . .

التقط العميد (حرب) أنفاسه وعاد يستطرد :

ـ . . لقد تغلب عملينا على (باور) وحراسه فى قتال مرير ،ولكى يهرب من القصر المحاصر بعشرات الحراس تفتق ذهنه عن حيلة غريبة ، لقد وضع (روى باور) نفسه على الجهاز الذى طوره بأمواله ، فمحى ذاكرته تمامًا ، وأصبح طوع بنانه . .

ساد اللغط بصوت أعلى ، فرفع (حرب) عقيرته مواصلاً :

ـ . . هكذا خرج (باور) المغيّب تمامًا ، مصطحبًا عميلنا المتظاهر بالأسر ومن معه إلى مروحية فوق سطح القصر ، على مرأى ومسمع الحراس الذين لا يناقشون زعيمهم فيما يفعله ، وقد قاد عميلنا المروحية بنفسه حتى وصل إلى (مصر) وهبط بها سالمًا . .

بلغ اللغط حدًا مستفزًا من العلو ، فاضطر العميد (حرب) إلى أن يطرق سطح المنصة بيده عدة مرات ، هاتفًا :

ـ . . من فضلكم يا سادة ، الوضع الآن معقد ولا وقت لدينا لنضيعه فى مجادلات جانبية . .

الموقف الآن كالتالى : بين أيدينا واحد من أعمدة الاقتصاد العالمى ، مفتقد لأى فكرة عن هويته الحقيقية ، وذهنه صفحة بيضاء من غير سوء كطفل رضيع . . بين أيدينا أيضًا عميل وعميلة لنا بنفس الظروف العقلية . . وبين أيدينا الدكتور الذى اخترع الجهاز المسئول عن الحالة التى هما فيها الآن . .

قال أحد الجالسين :

ـ وضع معقد بالفعل . .

قال العميد (حرب) :

ـ شكرًا للملحوظة . . كان الاتفاق أن يتم الأمر كالتالى : سوف تتبنى الإدارة أبحاث تطوير مشروعات الدكتور (رومانو) وتمنحه راتبًا وسكنًا وهوية سرية ، وسوف نركز فى المرحلة القادمة على عكس نتائج التأثيرات التى يحدثها جهازه الرهيب . .

بالنسبة لعميلنا الأول الواقع تحت نفس التأثير فسوف يوضع تحت الملاحظة الطبية الفائقة ، لمتابعة التغيِّرات الطارئة عليه بالتدريج من جراء التجربة الرهيبة التى تعرض لها . .

سأل أحد المتأنقين فى الصف الأمامى :

ـ ماذا عن (روى باور) ؟!

ملأ العميد (حرب) صدره بالهواء قبل أن يقول :

ـ هذا هو القرار الصعب الذى نريد الرأى فيه . . إنه بين أيدينا الآن ، ولم نصدر فى شأنه حكمًا بعد . .

قال أحد الضالعين فى القانون الدولى :

ـ لا يمكننا احتجازه لدينا إلى الأبد ما لم تتم محاكمته أولاً . .

قال طبيب كهل :

ـ يمكن احتجازه كمريض تحت الملاحظة كما الحال مع العميل الأول . .

اقترح آخر :

ـ ولماذا لا نسلمه إلى الدول التى يمكن تكييف القوانين فيها مع حالته كمجرم ثبتت عليه أكثر من تهمة ؟!

اقتراح آخر :

ـ أرى أن نسلمه إلى الدول التى تطالب به كمجرم . .

وآخر :

ـ لم لا نعيده إلى قصره وينتهى الأمر ؟!

قال العميد (حرب) :

ـ جميعها اقتراحات وجيهة . . لكننا نحتاج إلى النظر فى الأمر بالذات من زاوية أخرى أيها السادة . .

قرأ العميد (حرب) سؤال (ماذا تعنى ؟) فى العيون الشاخصة ، فأجاب على الفور :

ـ . . يمكننا النظر إلى (روى باور) ككنز يمكننا استغلاله إلى أبعد الحدود . . إنه رجل يعيش فى قلب الهدف ، علاقاته متشابكة فى عالم الجريمة السرية ، وهو الآن بين أيدينا عجينة طرية من الصلصال القابل للتشكيل وفق أهوائنا . .

تساءل أحد الجالسين :

ـ تعنى أن نجند (روى باور) لخدمتنا يا سيادة العميد ، بعد إقناعه عقليًا وهو فى هذه الحالة من اللاوعى بأنه من رجالنا ؟!

ـ بدأت وجهات النظر تقترب . .

ثم إنه فسّر :

ـ . . تجنيد (روى باور) فى حالته هذه هو الخطر بعينه ، إننا نجهل أبسط التغيرات التى يمكن أن تحدث بين يوم وليلة فى دماغه ، لذا أرى أن نبقى (روى باور) بين أيدينا مؤقتًا ، ونزرع فى مكانه نسخة منه ؛ تكون عيننا على عالمه السرى الذى أتحدث عنه . .

بهت الجالسون لغرابة الفكرة ، وقرر العميد (حرب) طرق الحديد الساخن :

ـ . . إن لدينا عميلنا الذى قابله أكثر من مرة ، أقترح أن يأخذ هو هيئته وهويته ريثما يبقى (روى باور) الحقيقى بين ظهرانينا بصفته ضيفًا ، حتى نستنفذ الغرض من مهمتنا . . ما رأيكم يا سادة فى هذا القرار الصعب ؟!

الصمت والذهول . .

من يوافق يرفع يده من فضلكم . .

ـ الصمت . .

والذهول . .

توتر العميد (حرب) فى وقفته وهو يرى خطته توشك على الانهيار ، غير أن الأيدى بدأت فى الارتفاع واحدة تلو الأخرى . .

واحدة تلو الأخرى . .

ارتفع عدد كبير من الأيدى فى النهاية ، فابتسم العميد (حرب) فى أعماقه بسمة لم تعرف الطريق إلى وجهه . .

مطلقا . .

☆ ☆ ☆

ـ موافقة بالإجماع إذن . . !

قالها اللواء (عفت حفنى) غائصًا فى مقعد مكتبه الوثير ، والعميد (حرب) أمامه بملف أوراقه تحت إبطه يقول :

ـ بمعدل فاق توقعاتى بكثير . .

قال اللواء (حفنى) ملوحًا بسبابته :

ـ كن حذرًا ، عميد (حرب) . . إنك تدفع بتلميذك النجيب إلى قلب الجحيم . .

تنهد العميد (حرب) قبل أن يقول فى وجل يغالبه :

ـ دعنا نأمل خيرًا يا سيادة اللواء . .

تساءل اللواء (حفنى) فى رنة تأثر لم يخفها :

ـ ما حال الفتاة الآن ؟!

صمت العميد (حرب) هنيهة سيطر فيها على مشاعره ، قبل أن يقول فى أسى :

ـ تعانى يا سيادة اللواء . . فبالإضافة لفقدان الذاكرة الكامل فى أبشع صورة ، قد دخلت الآن مرحلة التشنجات العنيفة التى تشبه تشنجات الصرع . .

عض اللواء (حفنى) على شفتيه ، قبل أن يتساءل مجددًا :

ـ وهل من أمل ؟!

صمت ، ثم :

ـ إننا لا نعيش إلا به يا سيدى . .

ـ لابد أن تلميذك فى أسوأ حال الآن . .

ـ الأمل يراودنى فى أن يتغلب على ألمه بالعمل . .

ـ تقصد بالذهاب إلى قلب الجحيم . .

هز العميد (حرب) كتفيه :

ـ أيًا كان . . !

ـ لا بأس . .

قالها اللواء (حفنى) مغالبًا كآبة الموقف :

ـ . . سأعتمد مهمته الجديدة تحت التغطية ، ولنرى

ما ستسفر عنه الأيام القادمة من حدثان ، أين هو الآن ؟!

أجاب العميد (حرب) فى لهجته التقريرية العملية :

ـ بدءوا فى إجراء تجارب التنكر الدائم على وجهه فى القسم الفنى يا سيدى . .

ـ وماذا عن (روى باور) ؟!

ـ نزيل خاص فوق العادة فى غرفة من غرف الإدارة تحت الإشراف الطبى المستمر ، وهو ـ حتى الآن ـ أكثر وداعة من طفل رضيع . .

ـ حتى الآن . .

قالها اللواء (حفنى) فى شرود ، وهو يشخص بعينيه بعيداً . .

حقًا لا أحد يدرى ما سوف تسفر عنه الأيام القادمة من حدثان . .

لا أحد . . !

☆ ☆ ☆

١٠ ـ الرجل الآخر..

هدرت المروحية فى ممر المطار الثانى ، فتلاعب الهواء بشعر العميد (منصور حرب) الذى وقف أمام بابها المفتوح إلى جوار . . .

ـ كأنى أراه أمامى . .

. . (روى باور) ، الذى ابتسم ابتسامة لا تتناسب مع قسوة ملامحه ، وهو يرد بقوله :

ـ الفضل للقسم الفنى والدراما النفسية كالمعتاد . .

قال العميد (حرب) بلهجة عميقة :

ـ لا أتحدث عن تنكرك المتقن ، وإنما عن شبهك بوالدك رحمه الله . .

هز (عمر) المتنكر فى هيئة مطابقة لـ (روى باور) رأسه قائلاً :

ـ الجميع يقولون هذا . .

قال العميد (حرب) بلهجة أكثر عمقًا :

ـ أنت مثله لا تهاب الخطر وتقدم عليه بصدر مفتوح . .

همس (عمر) :

ـ لا أخفيك سراً إن الخوف يراودنى يا سيادة العميد تجاه مهمتى هذه بالذات ..

ربت العميد (حرب) على كتفه قائلا فى رفق :

ـ هذا طبيعى ، إنها مهمتك الأولى تحت التغطية ، والمطلوب منك فيها أن تكون شريراً حقيقيًا ، أى أنك ستعبر الخيط الرفيع الفاصل بين الأبيض والأسود ..

زفر (عمر) :

ـ هذا حقيقى للأسف ..

أمسك العميد (حرب) بذراعه متابعًا :

ـ ليس هذا فحسب ، بل إن الخطر سوف يلاحقك فى كل لحظة ،وقد تستغرق المهمة يومين أو تستغرق سنتين ، لن نستطيع تحديد هذا أبدًا ..

ـ هذا أيضًا حقيقى ، ومرة أخرى : للأسف ..

قالها (عمر) فى شيء من التأفف ، فشد العميد (حرب) على أصابعه الممسكة بكتفه قائلاً :

ـ رجل الأمن يضع حياته الشخصية جانبًا عندما يتعلق الأمر بالعمل ..

أطرق (عمر) للحظة ـ مخفيًا عينيه ـ قبل أن يقول :

ـ نعم ..

ثم إنه رفع عينيه إلي العميد (حرب) :

ـ .. ادع لى بالتوفيق يا سيادة العميد ..

ودس (عمر) جسده فى مروحة (روى باور) التى أقلته إلى (مصر) بالأمس ، وجلس بنفسه فى مقعد القيادة ، ثم علت المروحية تدريجيًا إلى أعلى فى اتجاه عمودى ..

وانطلقت بعدها نحو الأفق ، تتابعها عينا العميد (منصور حرب) اللتين تحجرت فيهما الدموع من سنين ..

بعيدة ..

☆ ☆ ☆

[تمت بحمد اللّه]

العملية رقم (١٧)

بدأت المهمة بداية عادية، وانتهت نهاية غير عادية على الإطلاق..

وما بين البداية والنهاية كان هناك الكثير من الغموض، والغرابة، والدهشة، والحركة، والمطاردات، والاختراقات، والرصاصات، والخيوط التى تقود من خطوة إلى أخرى..

صحيح أن الانتقام هو اسم اللعبة هذه المرة، لكن اللعبة انقلبت إلى حقيقة مروعة لا تخطر ببال أحد، حتى المؤلف نفسه..!



د. محمد سليمان عبد المالك

المكتب 17

ادارة المهام الخاصة

****

سلسلة روايات عصرية للشباب حافلة بالمغامرة والإثارة والتشويق

العدد القادم

عملية رجل الليل

الثمن فى مصر ٢٥٠

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم